116

بنبض قلبك أحيا

نور الحياة

تصدر عن دار نشر منتديات همسات روائية

همسات شرقية رومانسية

الحياة لا تستمر على وتيرة
واحدة، فمفارقاتها صادمة، فبعد ان كانت
السعادة تظلل حياتهم تدخل القدر والقى
بظلاله عليهم فاحتجبت السعادة وعرف
الحزن طريقه اليهما !
فهل يستطيع الحب الذى جمع بين قلوبهم
ان يكون طوق نجاه لهما لينجيهم من مرارة
فراق لا يتحملها قلبيهما ام أن إرادة مجتمع ظالم
ستكون أقوى ؟ !

تصميم فاتن فاروق

hamsatrewaiya.net

تصميم : فاتن فاروق

بنبض قلبك أحيا

أرى في عينيك ذاك السؤال ..
فيؤلمني مجرد الاحتمال ..
فهل تظن حبيبي ..
اني قادرة على الابتعاد ؟
فكيف تسوى لدى الحياة ..
ان كانت بدون هواك ؟
فانت عشقي لست مجرد حبيب ..
فيقلبي انت ابني العزيز ..
وزوجي الداعم الرفيق ..
الذي يربت على قلبي عند الضيق ..
وتوأم الروح الذي منحني إياه القدر ..
في نفحة سخاء ..
فكيف ابتعد ..
وانت تحيا بقلبي مدى الحياة ؟؟

تصميم : فاتن فاروق

نور الحياة

بنبض قلبك أحيا

ولا ينبض قلبى لسواك ..
أدمنت حبك وهواك ..
فانت النسمة التى تدفئ قلبى العليل ..
وتداوى كبريائى الجريح ..
فمعك تطيب روحى ..
وأجد قيمة لحياتى ..
فلا تتركينى يوما ..
يا كل أمنياتى !

تصميم : فاتن فاروق

نور الحياة

بنبض قلبك أحيا

الكاتبة : نور الحياة

تدقيق : همسات دافئة

تصميم : فاتن فاروق

تحرير نص : نور الحياة

قلوب همسات رومانسية

تصدر عن دار نشر

منتديات همسات روائية

بتبض قلبك أحيا

تصميم : فاتن طارق

"أروى.. أروى"

انتابه الهلع وهو يري أمامه أروى منكمشة على نفسها فاقترب بخطوات واسعة صارخاً بخوف:

"أروى.. حبيبتي هل أنتِ بخير؟"

رفع رأسها من على الفراش فاحرق قلبه الدموع التي تغرق وجهها فهتف بجزع:

"ماذا هناك حبيبتي؟ ما الذي حدث؟"

كلمة واحدة متحشرجة خرجت من فمها بصوت مبحوح:

"ضمني"

اعتصرها على صدره وكأنه يعطيها الإذن للانخراط مجدداً بالبكاء، فدخلت بنوبة بكاء شديدة، تركها بشير تبكي على صدره مثلما ترغب رغم أن قلبه وعقله كانا يشتعلان بنيران تحرقهما، فبكاء أروى من أقسي الأشياء على قلبه انه لا يتحمل سقوط

بضعة دمعات من عينيها فماذا يفعل بأنهار منهمرة دون توقف؟

ضمها بشدة لحضنه ممسداً خصلاتها محاولاً إيقاف دموعها عن طريق لمساته فأي كلمة سينطقها الآن لن تغير شيء، فأروى بحالة انهيار، ولكن يبقي السؤال ما الذي أوصلها لهذه الحالة؟

لقد تركها صباحا بخير وودعته بابتسامتها المعتادة وحتى عندما حادثته وهو بعمله لتخبره أنها ستذهب لبعض الوقت لوالدتها، كان صوتها صافي ومبتسم.. هل والدتها هي التي أزعجتها؟ ولكن ما الذي قد تقوله لها والدتها ويوصلها لهذه الحالة من الإنهيار؟ انه يعلم بحجم المضايقات التي تتعرض إليها من والدتها حتى وان لم تخبره واكتفت برسم ابتسامة غير حقيقية على شفتيها عند عودتها من منزل والديها، إلا أن معاملة

والدتها له تخبره أنها أصبحت ضائقة بزواجهم وتتمني التخلص منه..

تنهد بحيرة وهو ينظر لرأسها الملقي على صدره وقد بدأت شهقاتها تهدأ رويدا مفكراً أن كل ذلك قديم فما الذي جد الآن وأوصل حبيبته لهذه الحالة؟ هل قررت الرضوخ أخيراً لطلب والدتها غير المعلن ولذلك تبكي بحرقة فراقه؟؟

تجهمت ملامحه وهو يهز رأسه فأروى لن تفعلها، لا لن تتركه فهي تعشقه كما يعشقها لذلك لن تتحمل أو تفكر حتى بفراقه..

أبعدها عن صدره قليلاً ليسألها وقد عصفت الأفكار برأسه

"ما الذي يؤلمك ياقلب بشير؟"

عاودت دموعها الانهمار من عينيها وهي تخفض رأسها لتسنده على صدره فامسك بشير ذقنها وهو

يقول بلوعة:

"أخبريني حبيبتي ماذا بكِ؟ قلبي سيتوقف من شدة خوفي عليكِ"

عضت شفتها ثم أجبرت لسانها على النطق بتلعثم تلك الكلمات التي ذبحت قلبها:

"أمي.. طردتني.. من منزل.. أبي"ثم انخرطت بنوبة بكاء أخري ملقية رأسها على قلبه

"ماذا؟"همس بشير بذهول غير مصدق لما استمع اليه فالسيدة رحمة مستحيل أن تطرد أروى من منزل أبيها فهي تعشق أروى بل أن أروى هي أقرب أبنائها لقلبها فهي صغيرتها المدللة، لم يسمح لأروى هذه المرة باستكمال بكائها وهو يبعدها عنه متسائلا بحيرة:

"لِمَا؟"

أشاحت أروى بوجهها هاربة من نظراته التي

تلاحقها إلا انه أعاد وجهها إليه لتتلاقي نظراتهم فعاود التساؤل مجدداً بصرامة:

"لِمَا؟"

لم تستطع أروى التهرب وهي تتطلع بعيني بشير فقالت هامسة بصوت مبحوح:

"لقد خيرتني بين أن أبتعد عنك أو أن أبتعد عنها"

فغر فاهه ليستطيع التنفس فبعد أن استمع إلى كلمات أروى شعر انه عاجز عن التنفس ثم قال وصدره يعلو ويهبط بأنفاس متلاحقة يحاول إدخالها لرئتيه ليتنفس:

"وأخترتني!"

يتبض قلبك أحيا

شعرت بالهواء يخنق أنفاسها وهي تستمع لكلمات والدتها المعادة شاعرة بأن كل شيء قد بهت فجأة، نظرت حولها بشرود فلا شيء تغير بمنزل والديها منذ زواجها، ولكن ربما طبيعة الكلمات السامة التي تتلقاها في هذه اللحظة هي التي تجعلها فاقدة الإحساس بالراحة فيما حولها، فحتي أريكتها المفضلة والتي طالما استرخت عليها بأيام صباها لم تثر في نفسها أي راحة بل انتابها شعور أنها تجلس على أشواك تؤلمها!

"ألن تنتهي من مناقشة هذا الأمر؟"

أغلقت عينيها وهي تتساءل بعذاب صامت، فلمتي ستظل والدتها تعيد على أسماعها نفس الكلمات؟! لقد أرهقت من تكرار إجابتها على ما تقول، فهي لن تبحث عن سعادتها بعيداً وقد وجدتها أهذا معقول؟ أيبحث الإنسان عن المجهول

تصميم : فاتن طارق

في حين تكون بيده سعادته، فقط لو تقتنع والدتها وتتركها وشأنها!

"أروى فيمَ شردتِ؟ أنا أحدثك منذ أكثر من نصف ساعة"قالت رحمة والدة أروى بعصبية

تطلعت إليها أروى بقلة حيلة وهي تقول:

"معكِ أمي.. معكِ"

زفرت رحمة بغيظ وهي تقول من بين أسنانها:

"لن تعرفي قيمة ما أقوله الآن إلا عندما يمر قطار العمر وتشعرين بالوحدة"

ألقت عليها أروى نظرة معذبة وهي تتمتم داخلها:

"وأنتِ تريدين إشعاري بها منذ الآن!"

"أخبرها ياسين أن ما تفعله لا جدوى منه.. هيا أخبرها"قالت رحمة بانفعال وهي تشاهد برود رد فعل ابنتها على حديثها

"اهدئي رحمة قليلاً"تدخل ياسين الشقيق الأصغر

لرحمة بهدوء في الحوار ثم قال موجها حديثه لأروى الصامتة أمامه:

"حبيبتي أروى والدتك لا تريد سوى سعادتك"

تخلت أروى عن نظراتها المستكينة وهي تجيب بقوة:

"وأنا سعادتي مع بشير"

"بشير...بشير.. ماذا فعل لكِ هذا البشير لتتمسكي به بهذا الشكل؟"صاحت رحمة وهي تنهض من أريكتها بغضب فتمسك ابنتها بهذا البشير يغضبها فالحمقاء لا تعلم عمَ تتخلي لأجله!

"أمي أنا أحبه.. وهو يحبني"قالت أروى بثقة وحنين لذلك الساكن بين ضلوعها

أطلقت رحمة ضحكة مستهزئة وهي تقول:

"أخبريني بعد عشرة سنوات بماذا سيفيدك ذلك الحب؟"ثم أضافت بتحذير"ولكن عندئذ لن يفيد

ندمك بل سيكون الأوان قد مضي على تصليح شيء"

اقترب ياسين من مقعد أروى وهو يربت على كتفها بتفهم قائلاً:

"حبيبتي نحن غير متحاملين عليكِ ولكن نريدك أن تنظري للأمام بتعقل وتفكري بما ستخسرينه إذا ظللتِ متمسكة برأيك هكذا"

"لستُ بحاجة للتفكير خالي فقراري واحد لن يتغير، أنا لا أريد ترك بشير"قالت أروى بعينين تشعين بحزم

"ولكنك تغضبيني أروى والله لا يقبل بهذا"هتفت رحمة بسخط

"وهل يقبل الله بما تريدين مني فعله؟"تساءلت أروى بحزن ثم نهضت بأسي تحمل حقيبتها بيدها قائلة وهي تودع خالها:

"سأرحل الآن فبشير سيقلق إذا تأخرت"

"لا تدعينا نعطلك" قالت رحمة ساخرة وهي تشيع ابنتها بنظرات ساخطة رافضة أن تتلقي قبلتها المودعة ثم هتفت بتحذير قبل أن تفتح أروى باب الشقة:

"فكري بحديثي جيداً أروى فأنا لن أرضي عنكِ قبل أن تنفذي رغبتي"

"وأنا لن أرضي عن نفسي إذا نفذتها" قالت أروى بحنق ثم نظرت لخالها باستغاثة فواساها بنظرة أخبرها بها أن قرار والدتها بلا رجعة، مما جعلها تغلق الباب خلفها بألم فالمنزل المفترض أن تجد به راحتها أصبح عبء على روحها..

تصميم : فاتن طارق

يتبض قلبك أحيا

نظر لساعته بقلق، يمد يده للهاتف ثم يعيدها جانبه حتى لا يتصل على هاتف منزل والدي أروى، فهاتف حبيبته مغلق، مرر يده بخصلات شعره بضيق لقد أخبر أروى مراراً أن تتأكد دائماً من شحن هاتفها حتى لا تفرغ بطاريتها ولكنها وكعادتها دائماً تنسى..

لقد مر أكثر من ثلاثة ساعات على ذهابها لمنزل والديها فقد هاتفته بعمله لتستأذنه بالذهاب ورغم أن قلبه أخبره كثيراً أن يرفض إلا أن كرامته أبت عليه ألا يوافق.. فهو يعلم ما يحدث هناك بكل زيارة ويتسبب بإيلام قلبه وجرح كرامته! ولكنه لن يكن رجل أمام نفسه إذا طاوعها برغبتها بإبعاد أروى عن عائلتها فضميره لن يسامحه إذا عرض أروى لمثل ذلك الألم بأن يحرمها من صلة رحمها، فوالدتها المتبقية لها بالحياة بعد رحيل

والدها..

زفر بعنف وهو يفكر كم أن الحياة خداعة! فمنذ شهرين فقط كان رجل سعيد لا يحمل هم سوى للأمور اليومية العادية، فحياته لطالما كانت مريحة، فبعد أن تخرج من جامعته عمل بإحدى الشركات عن طريق أحد معارفه، واستمرت حياته بورديتها عندما تعرف على أروى عن طريق حادثة تعرضت لها وكان شاهداً عليها وأبت نخوته وقتها تركها دون أن يطمئن عليها..

بالبداية لم يحاول تفسير مشاعره نحوها، فلقد برر رجفة قلبه عندما تعلقت عينيه بعينيها اللوزتين بأنها شفقة على تلك الفتاة الجميلة بأن تتعرض لمثل تلك الحادثة..

ولكن مع استمرار لهفته لرؤية محياها أمن أن سهم كيوبيد الذي حاربه كثيراً قد سرق قلبه

وأوقعه بفخه، فلم يستطع الاحتفاظ بسره في الهوى خاصة وقد وجد بأروى كل ما يرغبه، فجمالها الهادئ بابتسامتها الخجولة أسرعا بجعله يرفع رايات الاستسلام لعشقها..

تنهد وهو يتذكر كم كانت فترة خطبتهما كالحلم بجمالها، فلقد اتفقت أسرتيهما معا سريعاً، وطبعه توافق مع طبع أروى وكأنهما روحين توأمتين فرقتهما الأيام لسنوات ثم أعادت جمعهما معا، فمضت رحلة الأيام بهما جميلة مليئة بالفرح لكليهما..

حتى حدث ما نغص سعادتهم فجأة وكأن القدر منحهم عامين من الغرام بعد الزواج ليستطيعوا تقبل صدمته القاتلة!

هز بشير رأسه طارداً أفكاره الحزينة فعليه الاطمئنان أولاً على أروى فقلبه قلق رغماً عنه على

تصميم : فاتن طارق

ما تعانيه حبيبته بمنزلها من ضغط نفسي هو أكثر من يعلم مدي قسوته عليها، فأمسك الهاتف الأرضي ليطلب رقم صار بالنسبة إليه بغيض ولكنه مضطر من أجل حبيبته.

"مرحباً أمي"

"مرحباً"أجابت رحمة بسأم

كتم ضيقه وهو يستمع لصوت حماته الضائق به فقال بلطف:

"أريد أن أتحدث لأروى فهاتفها فرغت بطاريته"

"لا تخشي شيئاً لقد ذهبت إلى منزلكم فهي تعلم أنك لن تتركها بحالها، إذا بقيت بمنزل والدها لبعض الوقت"ثم أضافت بغضب"لا تظن أنني لا أعلم لماذا تخطط، ولكن اطمئن لن يتحقق شيء مما تريده فأنت لن تستطيع إبعاد ابنتي عني"

استغفر ربه وهو يحاول التمسك بلباقته حتى لا

يجيب تلك السيدة بحده تستحقها قائلاً:

"ولم سأبعد أروى عنكِ أمي؟"

"حتي تسيطر على عقلها وتجعلها سجينتك"قالت رحمة بحقد

أغمض عينيه بشدة قابضا على الهاتف بيده حتى لا يتهور ويقول شيء سيندم عليه لاحقاً، في حين استمع لأصوات متداخلة أتية من الهاتف ثم أعقبه صوت خال أروى ياسين قائلاً بإحراج:

"مرحباً بشير.. كيف حالك بني؟"

أجبر بشير نفسه على نطق:

"بخير خالي"

"لا تغضب من أم أروى بني، فالضغط عالي لديها وتعلم أنها لا تفكر جيداً بماذا تقول عندما تمرض"قال ياسين مبرراً بحرج

فحاول بشير تقليل حرج ذلك الرجل الذي يحترمه

تصميم : فاتن طارق

قائلاً:

"أتفهم خالي.. أتفهم"

ساد صمت مرير عقب جملة بشير فقال ياسين:

"لقد غادرت أروى منذ قليل"

"حسناً خالي شكراً لك.. سلامي للأسرة.. إلى اللقاء"

استمع إلى السلام الذي ألقاه خال أروى مودعاً بعقل مشوش.. فكلمات حماته القاسية رغم علمه بسببها إلا أنها تذبحه.. تذبح رجولته!!

سقط جالساً على الأريكة خلفه غير قادر على الصمود أكثر من هذا وهو يستعيد مرارة ذكرياته منذ انقلب عالمه رأساً على عقب دون تدخل منه.. فبعد أن كان يعد نفسه أسعد رجل بالحياة، أصبح أشقاهم، يحمل على كتفه حمل تنوء به الجبال، فهو بين خيارين كليهما مرير بالنسبة له، بين أن يتخلى عن كرامته فيتمسك بنبض قلبه وبين أن

يضحي بحبه ويتمسك بكبريائه وحينها لن يفرق معه الموت عن الحياة..

تصميم : فاتن طارق

يتبض قلبك أحيا

كفكفت دموعها المنهمرة على وجهها تاركة للهواء البارد مهمة تجفيف وجنتيها، فهي تعلم أنها ستحزن بشير إذا أدرك بكاؤها وبالطبع لن يستغرقه وقت طويل حتى يتخيل كل ما حدث معها ببيت والدها..

صعدت الدرج بتباطؤ وهي تفكر كم أنها تشتاق لوالدها، ذلك الرجل الطيب الحاسم في أمره والذي لم يكن ليقبل بتصرفات والدتها والتي ترغب في التحكم في حياتها بعد هذا العمر، معتقدة أنها بتعريضها لهذا العذاب تحسن البت في أمورها..

أرجعت أروى للخلف خصلات متطايرة من شعرها وهي تعقد العزم على الاتصال بشقيقها فربما يستطيع أن يحد من الخناق الذي تفرضه والدتها على حياتها..

ولكن هل سيتفهمها هو الأخر أم سيعلن تضامنه

مع والدتها؟ فهي تشعر بميله لرأي والدته، رأي العقل كما يقولون ولكنه على الأقل لم يحاول الضغط عليها كما تفعل والدتها، بل ترك لها حرية تخطيط حياتها كما تشاء فهي بالأول والأخير المتضررة الوحيدة من الأمر كما أوضح..

زفرت بغضب من منطقهم فهي لا تشعر بضرر سوى ما يحاولون أحداثه بحياتها، فلطالما كانت سعيدة بدنيتها الصغيرة التي تشملها هي وبشير وحبهم الذي مازال يتألق رغم فجيعتهم..

ولا يوجد ما يؤلمها سوى تلك الكسرة التي تراها بعيني بشير والتي يحاول إخفائها وهو معها ولكنها تراها بوضوح، أليس توأما لروحها؟ فهم يشعرون ببعضهم دون حاجة للكلمات!

"لِمَا يا أمي تعرضين قلبي لكل هذا الشقاء؟ لِمَا لا تتركين لجراح القلب فرصة لتشفي دون أن

تجددينها؟!"تساءلت أروى في صمت وهي تتوقف لبرهة قبل أن تصعد الدور الأخير للبناية والذي تقبع به شقتها، فالدموع عادت لتتلألأ مجدداً بعينيها مما حتم عليها التوقف قليلاً لتجففها قبل أن يراها بشير..

فتحت ميرفت والتي تسكن بالطابق الرابع باب شقتها فتفاجأت بوقفة أروى والتي يبدو أن عقلها منشغل فلم تشعر بوجودها فقالت بدهشة:

"لِمَا تقفين هكذا أروى؟ تفضلي عندي"

ابتسمت أروى بألية وهي تنظر لجارتها والتي تكبرها بالعمر بالعديد من السنوات فميرفت تبلغ الخامسة والأربعين وعلى رغم فرق السن بينهم إلا انه نشأ بين الاثنتين صداقة قوية فقالت أروى:

"ليس اليوم ميرفت.. غداً أراكِ"

نظرت ميرفت لظهر أروى بشفقة فمن نظرتها

تصميم : فاتن طارق

لعينيها يبدو أن المسكينة قد ذرفت الكثير من الدموع والتي تعلم جيداً سببها فوالدة أروى لا تكف عن الحديث بموضوع واحد لا تمل تكراره رغم تأكيد أروى المستمر لوالدتها بأنها لا تريد سوى البقاء مع زوجها وحبيبها بشير..

"مسكينة أنتِ حبيبتي أروى.. أعانك الله على والدتك"تمتمت ميرفت بحزن وهي تعيد غلق باب شقتها بعد أن وضعت الكيس الذي يحتوي على القمامة بالخارج بينما تابعت أروى صعود تلك السلالم المتبقية للوصول لشقتها ثم رسمت ابتسامة مشرقة على شفتيها وهي تدلف للداخل مناديه على حبيبها:

"بشير.. حبيبي"

لم تسمع رد لندائها فدلفت لغرفتهم فوجدتها معتمة وبشير راقدا على فراشهم واضعا يده على

رأسه في مشهد قطع نياط قلبها فبشير ليس من عادته الاستلقاء بهذا الشكل سوى عندما يكون حزين فاقتربت منه هامسة

"حبيبي.. هل أنت بخير؟"

أزاح يده من على وجهه بتململ بعد أن أشعلت النور الخافت المجاور له، فنظر لعينيها وهو يود إعادة سؤالها عليها ولكنه اكتفي بأن أومئ برأسه مطمئناً لها:

"بخير حبيبتي"

أشاحت بوجهها وهي تري عبوسه يفسد ملامحه التي تعشقها وهو يدقق النظر بها فقالت لتسرقه من أفكاره:

"هل تناولت طعامك؟"

هز رأسه بنفي وهو مازال على عبوسه فأهداب عينيها اللوزيتين حبيبتيه مبللتين بالدموع:

تصميم : فاتن طارق

"تعلمين أنني لا أستطيع تناول طعامي دونك"
أشرق وجهها بابتسامة حانية وهي تمد يدها لوجنته تداعبها، فأكثر ما تحبه ببشير حنانه ومراعاته لها، لا تتذكر يوماً تناول طعاما دونها حتى بزياراته لوالديه أو حتى عندما يحدث بينهم شجار _وهذا في حالات نادرة _ لا يتناول طعامه دونها أيضاً وعندما سألته ذات يوم محرجة من رفضه تناول الطعام مع والدته دونها:
"لمَ رفضت تناول الطعام؟"
حينها أخبرها ببساطة إجابته والتي لن تنساها أبداً:
"منذ أن أصبحتِ لي لم أعد أشعر بلذة شيء سوى معكِ.. فالطعام بدون ابتسامتك وأنتِ تتناولينه معي يصبح باهت لا طعم له"
داعب أنفها بطرف إصبعه وهو يستدعيها من شرودها متأملاً محياها الذي يأسره قائلاً:

"بماذا شردتِ؟"
"بك"قالت بحب يشع من عينيها ثم أضافت بعاطفة:
"هل أخبرتك من قبل أنني أحبك كثيراً؟"
تبدل عبوسه وهو يستمع إليها تعلن حبه فقال بعشق:
"وأنا أحبك كثيراً يا روح قلبي"ثم أضاف بأسي"لذلك لا أريدك أن تكتمي بقلبك أحزانك"
عبست بوجهها متسائلة بحيرة وهي تسحب يدها من على وجنته:
"أي أحزان بشير؟ أنا لست حزينة"
اعتدل في جلسته مقابلاً لها وهو يمرر أنامله على عينيها اللتين مازالتا نديتين بسبب دموعها:
"بلي حزينة أروى.. لا تكذبي معتقدة أنني لا أشعر بكِ، فأنا أعلم جيداً ما أخبرتك به والدتك"

تصميم : فاتن طارق

شحبت أروى وهي تستمع إلى كلماته التي تحمل بطياتها غضب متسائلة كيف علم ما أخبرتها به والدتها؟ هل هاتف والدتها وأخبرته بطلبها المستحيل وجها لوجه؟! لا مستحيل لن تفعلها والدتها فهي ليست بدون قلب لهذه الدرجة، فهي لن تجرح رجولة بشير وكبرياؤه بهذه الطريقة! فرغم تغير معاملتها كليا لبشير بعدما اكتشفوا ذلك الخبر الذي هدم سعادتهم في لحظة والتي كانت بمثابة إعلان منها لرفضها استمرار هذا الزواج بطريقة غير مباشرة إلا أنها لم تجرؤ على التصريح برغبتها تلك لأحد سوى لعائلة أروى..

أنقذها بشير من خوفها وهو يقول بأسي:

"من المؤكد أن والدتك أزعجتك بالحديث وحاولت معكِ أن تتركيني وهذا هو سبب دموعك"

ازدردت ريقها بارتياح فكل ما يقوله بشير تكهناته

الخاصة وهي كعادتها ستفندها:

"حبيبي لمَ تظن ذلك، أنت تعلم أن والدتي كانت مريضة بالفترة الماضية ولذلك تغضب سريعاً.. لا تعتقد أن تغير معاملتها لك لها سبب أخر"

"لمتي سنكذب على أنفسنا أروى فوالدتك ترفض استمرار زواجنا منذ علمت والأمر لا علاقة له بمرضها"قال بشير وعينيه ناظرتين للأرض لا يقوي على رفعهما فما أصعب أن يعترف بعجزه أمام نفسه وأمامها..

وضعت يدها على ذقنه ترفعها لتنظر إلى عينيه قائلة بحب:

"حتى وإن كنت محق، فأنت تعلم أنني لا أريد بحياتي سواك"

"ولكن والدتك محقة أروى أنتِ تظلمين.. "

قاطعته وهي تحرك يدها لتصل شفتيه تصمتهما

تصميم : فاتن طارق

عن الحديث قائلة بغضب:

"أنا لا أظلم نفسي بشير ولن نعود لمثل هذا الحديث، لقد أخبرتك أكثر من مرة أنك قلبي وروحي"

نظر لها بعذاب وهو يزيح يدها قائلاً بألم:

"وأنتِ بالنسبة لي روحي لذلك لا أريدك أن تظلمي نفسك بالبقاء مع شخص مثلي"

"بشير"هتفت بحنق ثم تخصرت قائلة"ماذا به زوجي؟ لا أسمح لك بالحديث عنه بهذا الشكل فزوجي أي فتاة ترغب بوصاله ولكنني لن أترك الساحة لها أبداً"

تبسم بتهكم قائلاً بوجع يقتات من روحه:

"حتي وهو عقيم عاجز عن منح زوجته الطفل الذي تتمناه!"

عاودت الجلوس بجواره وهي تهتف جازعة:

"بالله عليك لا تقل هذا.. أنت لست بعاجز.. أنت حبيبي سيد الرجال والذي لن أجد مثله أبداً"ثم أضافت بعشق وهي تحتضن رأسه لصدرها:

"آه لو تعلم مقدار عشقي لك.. لم تكن لتوجعني وأنت تنطق هذه الكلمات"

شد من ضمه لها وهي يجيبها بهمس:

"وآه لو تعلمي مقدار عذابي وأنا أنطق كل كلمة.. ولكن لأجلك أنا مستعد"

قاطعته مجدداً وهي ترفع رأسه من حضنها لتوقفه عن تتمة حديثه والتي تعلم جيداً فحواها ثم لثمت فمه بتوق قائلة:

"أنا لا أريد سوى أن تظل تحبني فقط"

"وهل أستطيع فعل شيء أخر؟! فروحي معلقة بكِ"تمتم بين شفتيها ثم بادلها قبلتها بشغف

تصميم : فاتن طارق

مودعاً قبلته عذابه وخوفه من أن تتركه بيوم ولن يستطيع حقا لومها!

ابتعدت عن مجال ذراعيه بعد أن شعرت برغبته بها تزداد فقالت بمكر:

"ألهيتني بحديثك وأنا جائعة"اتسعت ابتسامتها وهي تري غيظه من تهربها فقالت بدلال:

"دقائق وسيكون الطعام جاهز"ثم أضافت بغمزة"أمامنا الليل بطوله لنكمل حديثنا"

شعرت بملاحقة عينيه لظهرها فتهادت بمشيتها أكثر لعلها تستحوذ على أفكاره فيتخلى عن تلك الأفكار الحمقاء التي تراوده كل فترة بتطليقها، حبيبها الأحمق كيف يظن أنها قد تتخلي عنه مقابل كنوز الدنيا أجمع، فهو ليس بزوجها فقط بل هو حبيب القلب وروحها وعشقها..

فقلبها البريء لم يكن له عهد بالهوي سوى بعدما

التقت بعينيه فسكن روحها ومنحها دفء افتقدته بوفاة والدها فأصبح لها الوطن والسكن والعشق وكل ما تمثله الحياة..

ابتسمت باستهزاء وهي تقطع الفلفل شرائح لتصنع عجة البيض التي يعشقها بشير مفكرة أن بعد كل ذلك الحب الذي تكنه

له يطالبونها من كل عقلهم بالتخلي عن قلبها من أجل مجهول لا يعلم به سوى الله، انهم أغبياء بتفكيرهم فما فائدة امتلاكها أطفال وكان قلبها حزين مكلوم!

شعرت بوجوده بالمطبخ قبل أن ينطق فاستدارت لتعاتبه على مقاطعتها فتحير فكرها وهي تراه عابس عكس ما تركته فأخبرها بهدوء:

"والدتك على الهاتف"

رؤيته بملامح واجمة مجدداً أكدت لها أن السلام

تصميم : فاتن طارق

النفسي الذي حققته بمزاحها مع بشير منذ قليل أفسدته والدتها والتي من المؤكد أنها أزعجته ببضعة كلمات كعادتها مؤخراً.

"لقد أقلقتيني عليكِ كثيراً عندما لم تطمئنيني بمكالمة لدي وصولك منزلك"

ابتسمت أروى بحنان عندما استمعت لصوت والدتها القلق فقالت تطمئنها سريعاً:

"أنا بخير أمي لا داعي للقلق"

تنفست رحمة براحة وقد خمدت شكوكها ومخاوفها التي أشعلها شقيقها ياسين عندما عاتبها على قسوتها على أروى مخبراً إياها أن كثير من الحوادث قد تقع للإنسان عندما يسير وهو شارد، ونظرات أروى عندما رحلت، لم تكن فقط شاردة بل كانت نظرات لامرأة غارقة في اليأس والحزن، لقد جعل قلبها يوجعها من مجرد التخيل فهي أم

لا ترغب سوى بسعادة ابنتها لا أن تكن السبب لا قدر الله بحادث يصيبها، هي فقط كأي أم بمكانها تريد أن تري ابنتها سعيدة بحياتها تحمل على يدها طفل لها وهذا لن يحدث أبداً طالما هي مرتبطة بذلك البشير فقالت منفسه عن غضبها منه:

"هذا خطأ زوجك، يقلقني عليكِ ولا يكلف نفسه عناء تطمئنني، وماذا يهمه إذا مات قلب والدتك من الخوف"

"وما ذنب بشير الأن أمي؟"ردت أروى بضيق

"بالطبع ذنبه، لقد اتصل بي حتى يجعلك تغادرين منزلي ثم خلف في قلبي الخوف من عدم وصولك لمنزلك حتى الآن"ثم أضافت بحنق"أي شخص لديه قدر يسير من الذوق كان سيتصل بي ليطمئنني على سلامتك"

تصميم : فاتن طارق

"أمي توقفي رجاء"همست أروى برجاء وهي تنظر لباب مطبخها بقلق خوفاً من استماع بشير إلى محادثتها مع والدتها ثم أضافت مانعة والدتها من التمادي"من المؤكد أن بشير لم يقصد إزعاجك، ثم لا داعي لكل هذا القلق أمي فأنا لست بطفلة"

"ستظلين طفلة في عيني حتى لو بلغتِ الستون"قالت رحمة بعناد فابتسمت أروى وهي تهمس داخلها بحسرة

"وتلك هي المشكلة"ثم أضافت بحنان "أنا بخير تماماً أمي فلا تغضبي وترفعي ضغطك بدون سبب"

زفرت رحمة ثم علقت بجمود:

"مازلت عند رأيي أروى، فكري فيما تناقشنا به اليوم"

مما دفع أروى لتقول:

"حسناً أمي سأتركك الآن أشعر ببوادر صداع تزعجني"

"حسناً طفلتي، خذي دواء واخلدي للنوم"

تنهدت أروى بارتياح وهي تغلق الهاتف مع والدتها فعلي قدر تعلق كلتيهما ببعض إلا أن قلب أروى لا يتحمل أن تستمع لكلمة تمس حبيبها لذلك غفرت لنفسها سريعاً كذبتها البيضاء على والدتها مؤكده لنفسها انه سيأتي يوم تتيقن به والدتها أن لا حياة لها بدون بشير وحينها ستتوقف عن تصرفاتها المزعجة لكليهما..

توجهت أروى لمطبخها لتجد بشير واقفاً مكانها يكمل ما بدأته، فابتسمت بحب وهي تفكر كم هي سعيدة الحظ بوجود شخص مثله بحياتها، فحبيبها لا يتحمل من أجلها مضايقات والدتها بصدر رحب فقط بل وأيضا وقف يساعدها في

ليحله ويجردها منها راغباً باحتلال كيانها كما تحتل كل ذرة من أنفاسه أملاً بنثره لقبلاته أن ينثر معها بذور حب تقاوم الرياح العاتية من حولهم..

بتبض قلبك أحيا

جلس شارداً يفكر إلى متي سيظل وضعه هكذا؟
ليس انه ساخط على قضاء الله بل على العكس انه متقبله رغم قساوة قدره ولكن ما ذنب أروى لتبقي معه وتعاني بهذا الشكل؟
انه يعلم بحجم الضغوطات التي تتعرض إليها حبيبته من قبل والدتها ولكن يده عاجزة عن فعل شيء كما جسده عاجز عن منحها طفل يسعدها، فهو لا يستطيع أن يصم أذانه للأبد عن طريقة والدتها في مجافاته، ولومه بشكل مبالغ فيه على كل ما يفعله دون أن يفعل شيء حقا، فوالدة أروى مازالت تتمتع ببعض الأخلاق التي توقفها عن معايرته بعجزه الحقيقي عن منح طفلتها ابن يكون لها سند عندما تكبر..
زفر بضيق ويده تمتد بشكل آلي إلى قهوته التي بردت من كثرة تفكيره ولكنه لم يشعر بمذاقها، فهو

لم يكذب عندما أخبر أروى من قبل أن أي شيء لا تشاركه به، يكون بلا قيمة لديه..

ابتسم وهو يتذكر هيئتها المبعثرة عندما تركها اليوم والتي جعلته يفكر جدياً بعدم الذهاب لعمله حتى يتنعم بوجودها بين ذراعيه، لقد قضيا سويا ليلة من ألف ليلة من العسل المذاب فكليهما منح نفسه للأخر بسخاء، متناسيين كل المرارة التي رافقتهم طيلة الشهرين الماضيين حتى شعر بشير بأنه عاد عريساً من جديد، بل راوده شعور أفضل بكثير، إحساس الغازي والمالك الأوحد لقلب وجسد حبيبته..

تغضن جبينه وهو يفكر أن كل ما تفعله أروى له بمثابة مسكنات تجعله مدمن عليها ولكن بمجرد رحيله عنها يعاود الألم نهشه مجدداً فها هو منذ تركها شارد واجم الملامح، يفكر ماذا يفعل بالأيام

القادمة هل يمنحها حريتها وليذهب قلبه للجحيم أم يتمسك بها ويضيع شبابها بدون وجه حق؟!

"لمَ العبوس منذ الصباح؟"

قطع صوت سامر صديقه أفكاره وهو يدلف للمكتب الذي يتشاركا به العمل:

اخفض بشير نظراته وهو يغمغم:

"لا شيء سامر"

"وكأني لا أعرفك أنها عشرة خمسة أعوام.. أراك كل يوم حتى صرت أحفظك"قال سامر متهكماً وهو يجلس خلف مكتبه بينما عينيه تتابع ملامح بشير المتجهمة فقال بمؤازرة"هل تشاجرت مع حماتك التي تشبه البومة؟"

زم بشير شفتيه بغضب مدافعاً"لا تصفها هكذا سامر"ثم أضاف بتحذير"هي والدة زوجتي ولن أسمح لأحد بإهانتها حتى لو كنت أنت"

تصميم : فاتن طارق

رفع سامر يده بمهادنة وهو يغمغم بسخط:

"حسناً سيد بشير ومثالياتك العليا.. هل تشاجرت معها أم لا؟"

تنهد بشير بحزن:

"لا أستطيع أن أتشاجر معها فأروى متعلقة بها كثيراً ولكن طريقتها في معاملتي تزعجني"صمت قليلاً وهو يحاول أن يعبر عما يدور داخله فأردف بضيق:

"كلماتها المبطنة تشعرني بعجزي أكثر.. لا أكاد أصدق أنها نفس السيدة التي كانت تعاملني بحنان طيلة فترة زواجي من أروى"

مط سامر شفتيه باستياء:

"وتلومني لأنني أطلق عليها بومة!"ثم توقف عن الحديث أمام نظرة بشير المحذرة فقال بلطف مدفوعاً بشفقة على صديق كان دائماً بجواره في

أصعب ظروفه خاصة عندما توفي والده وكان بحاجة إلى من يقف بجواره ويدعمه، فمنحه بشير ذلك الدعم دون حدود واستطاع أن يخرجه من كبوته.

"بشير لا تزعج نفسك بحديثها، فيكفيك أن زوجتك لا تري سواك بهذا العالم"

"ولكنني أشعر أنني أناني مع أروى وأنني أظلمها بهذه الطريقة"قال بشير بقهر من بين أسنانه فهو بحاجة لان يفضي لأحد عن الصراع الذي يعتمل بداخله

قطب سامر جبينه وهو يدور حول مكتبه ليقترب من مكتب بشير ويقف بجواره قائلاً بضيق:

"أنت لا تظلم زوجتك بشير، لقد خيرتها منذ عرفت وهي اختارتك.. فلمَ تحمل نفسك هذا العبء؟"

تصميم : فاتن طارق

"لأنني أخشي أن تكتشف بعد بضعة سنوات خطأها عندما تجد أن قطار العمر قد مضي بها في الحياة دون أن يكون لها جذور بها مثل مثيلاتها، حينها سيتحول حبنا لمرارة وشفقة"قال بشير بمرارة ثم تابع بألم"وحينها الموت سيكون رحمة لي"

"عيبك يا بشير أنك مثالي"قال سامر بعمليه فنظر إليه بشير باستنكار فتابع متهكماً:

"زوجتك واختارتك.. فما الضير بأن يكن الإنسان أناني عندما يختار سعادته؟!"

ثم أضاف بغبطة"أتعلم لو كنت بمكانك لكنت تناسيت العالم بآسره فيكفيني أن زوجتي تحبني.. ولدي راتبي حر في صرفه، فلا يوجد أطفال تنتظر مصروفاتها ولا زوجة تستلمني منذ بداية الشهر بطلباتها التي لا تنتهي.. صدقني كنت سأكون سلطان زماني"

قطب بشير جبينه بعتاب قائلاً:

"لا تقل أشياء مثل هذه سامر أنت في نعمة لو تعلم فقط قيمتها"

"الحمد لله لا أقل أنني لست بنعمة، ولكن أخبرك أن تنظر للأمر من منظور أخر.. منظور إيجابي"أجاب سامر بجدية

رفع بشير أحد حاجبيه بدهشة مردداً:

"أي منظور إيجابي؟.. لقد جننت يا سامر"

تجاهل سامر ما قاله بشير وهو يردف بعين الخيال:

"المنظور الإيجابي أن تذهب للبيت فتجد الهدوء ينتظرك وزوجتك تبتسم في وجهك برقة.. لا تقابلك بتجهم مخبرة إياك أن تتصرف مع أطفالك الأشقياء لأنها تعبت.. ثم عندما تفكر بقول شيء حلو لها لا تخبرك بأنها مرهقة وتتركك لتذهب

تصميم : فاتن طارق

للنوم متناسية أن لها زوج يحتاج أن يشاركها حياته.. صدقني أنت بنعمة فاستغلها ولا تفسدها"

هز بشير رأسه بيأس من عقل صديقه فهو يعلم أن سامر يحاول أن يخفف عنه سارداً عليه شقاؤه مع زوجته رحاب، فلطالما اشتكي له سامر من جفاؤها ولكنه لا يعلم أن نعمة الأطفال لا تقدر بثمن ويهون في سبيلها تحمل مشاق الحياة..

"وجدت الحل" هتف سامر وهو يرمق صديقه بمرح مربتاً علي معدته الضخمة رافعاً أحد حاجبيه بنصر ثم أردف أمام نظرة بشير المتسائلة:

"سأتنازل لك عن العفريتين الكبيرين منير وريم وأمري لله سأحتفظ بالصغير عمر مفسد اللذات"

ضحك بشير على مزاح صديقه الذي لا يعقل أبداً رغم أنه يكبره بالعمر ثلاثة سنوات إلا أن عقله

مازال كعقل فتي مراهق لم تطحنه ضروس الحياة فقال:

"حفظهم الله لك.. انهم ملائكة ولكن أنت عقلك الفاسد"

"وإذا لم أتناول فطوري الآن سيفسد عقلي أكثر" أجاب سامر بمزاح وهو يتوجه للخارج ليحضر فطوره بينما يشيعه بشير بنظراته متمنيا بداخله لو يمتلك تلك الأنانية التي تحدث عنها سامر فيرتاح عقله وضميره من ذنب يحمله على كتفه تجاه أروى حبيبته رغم انه في حقيقة الأمر ليس بذنبه ولكنه ابتلاء خصه الله به..

أمسك هاتفه وقد سيطرت دقات قلبه المرتفعة على عقله راغباً بالهروب منها إليها فقال بعد أن استمع إلى صوتها الرقيق الذي طالما نجح في آسره:

"مرحباً حبيبتي.. اشتقت إليكِ"

تصميم : فاتن طارق

بتبض قلبك أحيا

ابتسامة مشرقة كللت وجهها منذ استيقظت اليوم وذكري الأمس تداعب روحها، عندما تتذكر وقاحتها مع بشير تكاد لا تصدق أنها هي نفسها الفتاة سريعة الخجل والتي تتورد وجنتيها من أقل الكلمات، ولكنه هو حبيبها الذي يستطيع إخراج ماردها الشقي من داخلها ويجعلها راغبة بالتحرر من كل القيود حتى تدمج روحها بروحه..

يا الله كم تحبه، حب يعجز عن وصفه لسانها، تنهدت بمحبة وهي تفكر أنها اشتاقت إليه كثيراً فرغم انه هاتفها منذ قليل إلا أن شوقها إليه لم يفتر بل على العكس لقد اشتعل أكثر..

فصدي صوته الرائع وهو يهمس في أذنها انه مشتاق إليها جعلها تتخيله بجوارها يحتضنها مانحاً إياها حنان وحب هي بحاجتهم كثيراً، بحاجة لحبه الرقيق ليغلفها بشرنقة تحميها من المضايقات التي

تتعرض إليها بعيداً عنه..

استمعت لصوت جرس الباب، فتركت المعكرونة التي كانت على وشك إعدادها وتوجهت خارج مطبخها وهي على يقين أن من بالخارج هي ميرفت جارتها.

فتحت الباب وهي تبتسم مرحبة بميرفت التي قالت ببشاشة :

"سبحان الله من يري ابتسامتك اليوم، لن يعرفك وأنتِ عائدة من عند والدتك أمس"

نفضت عن عقلها ذكري زيارتها لوالدتها مفسحة المجال لميرفت بالدخول قائلة بمشاكسة:

"وصباح الخير لكِ أيضاً"

تلاعبت ميرفت بحاجبيها وهي تقول متوجهة لغرفة الجلوس:

"صباح الأنوار والإشراق"ثم أضافت وهي تضع

الطبق الذي كانت تحمله من يدها"يبدو أن طبق مهلبية الجزر لم يعد له فائدة الآن"

برقت عيني أروى بالفرحة وهي تنقض على الطبق الذي وضعته ميرفت قائلة بحبور:

"مهلبية بالجزر حقاً؟"

فلا أحد يصنعها بهذه الروعة مثلما تفعل ميرفت والتي رفضت إعطائها سرها

ابتسمت ميرفت بزهو من نفسها وهي تقول:

"منذ رأيتك بالأمس وأنتِ عائدة حزينة قلت لن يمحي شيء حزنها سوى طبق من مهلبيتك المفضلة"ثم أضافت بغمزة وقحة من عينيها"ولكن يبدو إنني كنت مخطئة فبشير قد قام بالواجب وجعل الابتسامة لا تفارق ثغرك"

توردت وجنتي أروى ثم قالت وهي تنهض متهربة من مناغشات ميرفت التي تدركها ولكنها لا تمتلك

الجرأة للرد عليها:

"سأحضر ملعقة لأتناول طبقك، لا أقوى على الانتظار أكثر من هذا"

أنهت أروى الطبق بتلذذ قائلة:

"رائعة حقا ميرفت"ثم أضافت برجاء تكرره كلما تناولت تلك المهلبية"ألن تخبريني بسر إجادتك لها بهذا الشكل؟"

هزت ميرفت رأسها برفض:

"لن أخبرك.. كم مرة كررتِ هذا السؤال طيلة عامين ولم أجيبك عليه ولن أفعل الآن"

زمت أروى شفتيها بغضب قائلة:

"وكأنه سر من الأسرار الحربية تحافظين عليه!"ثم أضافت بغيظ"لن أسألك مجدداً"

ابتسمت ميرفت وهي تعلم أن أروى ستكرر سؤالها فهي لعامين لم تمل من تكراره، نظرت إليها

بحنان وهي تفكر أن الله قد أرسل إليها أروى لتكون رفيقة لوحدتها خاصة بالنهار عندما تنتهي من أعمالها المنزلية ولا يكن لها سوى الفراغ رفيق، فأتت أروى وأصبحت لها ابنة وصديقة، لقد استطاعت ميرفت بفطنتها انتشال أروى من جمودها في التعامل معها عندما أصرت عليها أن تناديها باسمها مجرداً وشيئا فشيئا أصبحتا أكثر من صديقتين..

قطعت ميرفت الصمت الذي أحاط بهم قائلة بجدية:

"لن تمثلي الغضب كثيراً.. هيا أخبريني ما سبب تلك النظرات الحزينة بالأمس؟"

تنهدت أروى وهي تفكر أنها لن تستطيع إخفاء ضيقها عن ميرفت فقالت بأسي:

"وكأنك لا تعلمين!"

تصميم : فاتن طارق

"والدتك مجدداً"قالت ميرفت بتقرير للواقع ثم أضافت بسخط مكتوم"ماذا فعلت هذه المرة؟"

ارتسمت ابتسامة مريرة على شفتي أروى وهي تقول:

"لقد أوقعتني بالفخ.. دعتني لمنزلها وأحضرت خالي ليقنعاني معا بترك بشير"

نظرت ميرفت بغضب فهي رغم عذرها لوالدة أروى في تفكيرها إلا أنها تري ببشير إحدى أبنائها، فماذا إذا كان تامر أو يوسف ولديها بمكان بشير لا قدر الله، لم تكن لتتحمل أن تتخلي عنهم زوجتيهم حينها، فما ذنب أحد بابتلاء القدر له؟! والذي يصعب الأمر حقا هو ذلك الحب العميق الذي يربط بين الاثنين، عشق يظهر دون كلمات حينما تتلاقي أعينهم، فكيف لعاقل أن يطالب روحين بالافتراق بعدما قنعا كليهما راضيين أن هذا الابتلاء

هو نصيبهم بالحياة!!

تخلصت من أفكارها الثائرة وهي تسأل أروى:

"وماذا فعلتِ؟"

"لا شيء جديد.. حاولت إقناعها كالعادة إنني أحب بشير ولا أريد سواه"قالت أروى بيأس

"وهل أقتنعت؟"استفسرت ميرفت راغبة بمعرفة نتيجة ضغط والدة أروى

"بالطبع لا"أجابت أروى بحزن وهي تتذكر جمود والدتها وهي تخبرها أن ذلك الحب سيموت ويختفي مع الأيام ولن يتبقى لها سوى الحسرة على العمر الضائع! أنها ترغب أن تقنع والدتها أن حبها لبشير هو أكثر حقيقة مؤكدة بحياتها فهي لا تتخيل حياة لها دونه، الموت سيكن عندئذ رحمة لها..

أضافت وهي تري نظرات ميرفت الفضولية الراغبة

تصميم : فاتن طارق

بمعرفة ماذا حدث بالضبط:

"لقد أكدت لها إنني راضية بنصيبي طالما بشير كان معي ولكنها"

"ولكنها ماذا؟"حثتها ميرفت على استكمال حديثها

نظرت لميرفت بعذاب قائلة:

"لقد هددتني بعدم رضاها عني إذا استمررت مع بشير وأخشي أن يتطور الأمر معها"ثم أضافت بعينين تغشاهما الدموع"أنا لا أريد خسارتها ميرفت كما لا أريد خسارة بشير"

اقتربت منها ميرفت بحنان تضمها إليها مواسية إياها:

"لن تخسريها أروى"

تركت أروى العنان لدموعها وهي تقول من بين شهقاتها:

"أنتِ تعلمين مدي تعلقي بها فبعد أن خسرت أبي

أصبحت هي كل حياتي ولا أحتمل خسارتها، فهي وبشير أغلي ما أملك بهذه الحياة"

"لمَ لا تجعلين شقيقتك أو شقيقك يحدثنها لعلهم يغيروا رأيها؟"تساءلت ميرفت

"شقيقتي أسماء تسكن بالإسكندرية ومنشغلة تماماً مع عائلتها، لا تهاتفني إلا كل فترة أما فادي فهو الأخر تصهره دوامة الحياة فلا تترك له مجال للعب دور أخر سوى مع أسرته الصغيرة، أنا أعلم بحبهما لي ولكن الفارق الكبير بين أعمارنا صنع فجوة لم تُملئ يوماً"قالت أروى وهي تفكر أن ثلاثة عشر عاماً وإحدى عشر عاماً هو فارق كبير بالفعل بينها وبين أخويها، فلقد أتت لتلك الحياة عن طريق صدفة لم يخطط لها! ابتسمت وهي تتذكر مناغشة والدها لها وهو يخبرها أنها أجمل خطأ سعد بارتكابه ولكن الموت سرقه منها وهي

تصميم : فاتن طارق

مازالت بعمر الخامسة عشر فتولت والدتها تربيتها بعد أن تزوج فادي شقيقها، فأصبحت والدتها بمثابة كل شيء في حياتها فكانت نعم الأم والرفيقة والصديقة.. واستمر هذا الوضع بعد زواجها من بشير فلقد أحبته والدتها هي الأخرى لتعامله الراقي واللطيف مع الجميع.. ولكن كل شيء تحطم منذ شهرين وهي كانت المخطئة الأولي بذلك!

آه لو كانت تعرف ماذا ستكتشف لآثرت أن تبقي بجهلها! لفضلت أن تحيا على الأمل دون أن تصدم بمفاجأت القدر!

أفاقت من أفكارها وهي تشعر بنظرات ميرفت المسلطة عليها والتي تنتظر أن تكمل حديثها فتابعت:

"لا اعتقد أن فادي أو أسماء بقادرين على تغيير

رأي أمي، فمن حديثهما معي سابقاً شعرت انهم يوافقونها على رأيها بل أن أسماء سألتني بوضوح مستنكر حين علمت بعدم قدرة بشير على الإنجاب هل سأستطيع إمضاء بقية حياتي مع بشير دون أطفال، أنها تري أن الأطفال هم سر الحياة وان الحياة بدونهم لا تستقيم"

"لا ألومها على تفكيرها"علقت ميرفت فنظرت إليها أروى باستنكار ممزوج بالاستياء فقالت بروية متجاهلة نظرات أروى:

"لن أكذب وأقول أن الأطفال ليسوا هامين بالحياة ولكن أحياناً يضعنا القدر باختبارات تجعلنا نحدد أولوياتنا فنضطر للاختيار بين رغباتنا حسب أهميتها بالنسبة لنا"

"بشير الأهم بالطبع"قالت أروى دون تفكير ثم أضافت بشرود"الأمر ليس يسير عليّ كما تعتقد

تصميم : فاتن طارق

والدتي، ولكنني حقا لا أستطيع تخيل رجل أخر بحياتي سوى بشير، فهو الوحيد الذي استطاع أن يمنحني كل ما احتاجه ويتغلغل لقلبي بدفئه"

ثم أردفت بابتسامة حانية وهي تنظر لميرفت:

"لا أحتاج لأطفال وأنا مع بشير فهو طفلي الذي أرغب بمنحه كل حناني"

"حفظكما الله لبعض حبيبتي"قالت ميرفت بحب

فأمنت أروى على دعائها قبل أن تنهض لتجيب على هاتفها مستأذنة من ميرفت للحظات ثم عادت إليها بوجه عابس فبادرتها ميرفت بقلق:

"ماذا هناك؟"

"غريب.. لقد هاتفني فادي ليدعوني لحفلة للاحتفال بعيد مولد صغيره الثالث"قالت أروى بتعجب

"وما الغريب بذلك؟"

"فادي ليس من محبي هذه الحفلات، بل انه لم يحتفل سوى بعيد بأول عيد ميلاد لطفله الأول تحت ضغط رهيب من زوجته"قالت أروى حائرة ثم أضافت معبرة عن داخلها"أشعر أن هناك شيء خلف تلك الحفلة ولكنني عاجزة عن معرفة هذا الشيء"

كتمت ميرفت شعورها الذي كونته مما روته أروى قائلة بمرح:

"اذهبي ولا تفكري كثيراً"

"سأفعل"أكدت أروى ومازال عقلها شارد بالسبب الذي يكمن خلف هذه الدعوة

نظرت ميرفت للساعة المعلقة بدهشة ثم نهضت فوراً وهي تقول:

"سأهبط لشقتي لأعد الطعام قبل أن يعود منصور وإلا سيقتلني وذنبي سيكون في رقبة ثرثرتك

أروى"

"أنا التي أثرثر ميرفت؟"رددت أروى بذهول ثم قالت بمزاح"لن أعاتبك الآن فيكفيك عقاب السيد منصور إذا عاد ولم يجد طعامه"

"سيجده"قالت ميرفت وهي ترفع أحد حاجبيها واثقة ثم هرولت بخطواتها لباب الشقة مودعة أروى

"لا تفكري بشيء ودعيها على الله"

أومأت أروى برأسها ثم عادت إلى مطبخها بعد أن أغلقت الباب خلف ميرفت لتعد غدائها هي الأخرى وعقلها وقلبها مازالا شاردين بدواماتهم، مستشعرين قرب خطر لا تدري كنهه..

شعرت بنغزة بصدرها فوضعت يدها على قلبها داعية الله:

"يا الله أرأف بحالي ولا تحرمني من أحبائي.. فقلبي

لن يتحمل فراقهم"

بتبض قلبك أحيا

جلس مهموماً وهو يشاهد التلفاز بعيون لاهية، يفكر بتلك الزيارة المرتقبة لمنزل شقيق أروى فهو مضطر للذهاب، فليس هناك سبب مقنع لرفضه سوى شعوره بالاضطهاد، فمعرفته لحماته تؤكد له انه قد يتلقى منها كلمات قد تجرح كرامته، فهي لم تعد تطيق له أي فعل يقوم به، تراه دائماً مخطئ وأكبر خطأ ارتكبه ولم تستطع النطق به حتى الآن هو حرمان ابنتها من نعمة الأطفال.. لو كان الأمر بيده لمنح أروى قطعة من نفسه حتى يريح والدتها، يا ليته بإمكانه تحقيق أمنيتها بجعل ابنتها حامل ولكن هذا قدره البائس قد فُرض عليه وليس بيده الاعتراض على مشيئة الله.. استغفر ربه بصمت، فهو راضي بعطاء الله ويكفيه وجود أروى بجانبه تهون عليه شقاؤه، فقط لو تتركهم والدتها لشأنهم..

تصميم : فاتن فاروق

"ولكنها أم وخائفة على ابنتها بشير"خاطبه عقله طالباً منه العذر لها لتصرفاتها فأغمض عينيه بألم وقلبه يجيب عقله بوجع:

"أعلم.. أعلم ولكني عاجز عن تحمل نظراتها المسومة نحوي وعاجز عن تحمل ذلك الألم من فكرة ابتعاد أروى عني.. لن أحتمل.. سأموت"

"أروى لن تبتعد، فهي تعشقك وأنت تعشقها"زجره عقله عن التفكير بتلك الطريقة السوداوية

زفرة عميقة خرجت من فاهه وهو يردد من أعماق قلبه:

"أتمني.. أتمني"

"وماذا يتمني حبيبي؟"

اقتحم صوت أروى أفكاره فرفع عينيه نحوها فارتسمت على شفتيه ابتسامة وهو يتطلع لجمالها

الذي لا يمل يوماً من النظر إليه فقال بمشاكسة متخلياً عن أفكاره السوداء بعد أن داعب قميصها البيتي من الشيفون المنقوش بورود زرقاء متداخلة بها ورود حمراء والذي يصل إلى ركبتيها ويتمسك بكتفيها بحمالتين رفيعتين تنزلق أحدهما باستمرار مظهرة جزء من صدرها.

"كنت أتمنى أن تحضر لي زوجتي حبيبتي فنجان قهوة مضبوط وإذ بي افتح عيناي لأري حورية تحمل لي فنجاني الذي تمنيته"

ناولته فنجان قهوته ثم جلست بجواره وهي تقول بثقة:

"حتي تعلم قيمة زوجتك.. فهي تحفظ حبيبها جيداً"

"أعلم ياقلبي"قال بحب ثم أمسك يدها جاذبًا إياها لفمه ليلثمها بامتنان"لاحرمني الله منك

تصميم : فاتن طارق

حبي"

اقتربت بشفتيها من وجنته تطبع قبلة عليها وهي تؤمن خلفه:

"ولا منك يا روحي"

شرد قليلاً فيما ينتظره غداً وهو يرتشف من فنجان قهوته فشعر برأس أروى يستكين على كتفه وهي تقول بصوت قلق:

"ماذا بك بشير؟ هل أزعجك أحد؟"

وقبل أن ينفي اعتدلت تنظر إلى عينيه بتحذير:

"لا تحاول الكذب.. أنا أحفظك جيداً"

رسم على وجهه ابتسامة دبلوماسية وهو يقول:

"لقد دعاني شقيقك لعيد مولد ابنه غداً وكنت أفكر ماذا سنشتري له هدية، ألم يهاتفك؟"

"بلي فعل"أجابته أروى وهي تتطلع إليه محاولة أن تعرف سبب الهم الكامن بعينيه، هل يزعجه

تواجده بقرب أطفال شقيقها؟ لا ليس بشير.. فهو ليس من النوع الساخط بل هو من الأشخاص الذين يتقبلون قدرهم برضا فلقد سلم بتأكيد ثاني مختص سألاه عن حالته والذي أكد عدم قدرته على الإنجاب.. أم أن ما يخشاه هو والدتها وحديثها المبطن والذي اعتادت تضمينه عن الأطفال وأهميتهم؟؟

دارت الأفكار بصمت في رأس أروى مما دفعها للتساؤل بترقب:

"هل يزعجك ذهابنا؟"

فاجئه سؤالها فقال بدهشة ممزوجة بعتاب:

"ولمَ سيزعجني ذهابنا أروى؟ أنا لن أحرمك من عائلتك"

أمالت رأسها على كتفه وهي تقول بصدق:

"أنت عائلتي"ثم أضافت باضطراب"أعلم أن

تصميم : فاتن طارق

ردات أفعال أمي تزعجك ولهذا قد تفضل عدم الذهاب"

حرر ذراعه ليحيطها به مقرباً إياها أكثر منه وهو يقول مقبلاً مقدمة رأسها:

"لن أقبل بأن أكون حائل في علاقتك بأهلك أروى.. سنذهب معا غداً بإذن الله"ثم أضاف وهو يشدد من احتضانه لها وكأنه يمنح نفسه القوة الكافية للتعهد بما سيقوله:

"وإذا كان على والدتك وردود أفعالها.. فلدي استعداد لأجل ابنتها أن أتحمل كل شيء"

قبلت صدره الذي تدس وجهها به بعشق ممتنة له مرددة بعاطفة:

"وابنتها تحبك فوق الوصف"

التمعت عينيه ببريق مشاغب وهو يتخلل بأنامله خصلاتها قائلاً:

"حقا.. أشعر أن ابنتها تغيرت ولم تعد تحبني مثل الأول"

ابتعدت عنه سريعاً وعينيها تبرق بعدم تصديق قائلة بذهول وهي تنظر لوجهه العابس:

"ماذا؟"

كتم ابتسامته وهو يؤمئ برأسه قائلاً بحزن مصطنع:

"منذ فترة طويلة لم تهديني أغنية"

ضحكة أفلتت منه وهو يتلقى لكزتها له بسعادة فالتعبير الذي ارتسم على وجهها أسعده، لقد قرأ على ملامحها خوفها على مشاعره وعلى حبهم، ذلك الخوف الذي قد يجعله يخوض بحار عميقة من الألم لأجلها، فقال بعتاب وهو يتمسك بيدها التي ترفض تركها بيده:

"لقد جعلتني أعتاد على جنونك ومن ثم توقفت..

تصميم : فاتن طارق

حتى إنني أخشى أن تتوقفي عن حبي يوماً"
عبست بوجهها والدموع تتلألأ بعينيها ناهرة إياه:
"لا تقل هذا.. تعلم انه من المستحيل أن أتوقف
عن حبك.. فقط أنا.. "
توقفت عن الحديث وهي عاجزة عن تبرير نفسها
دون تذكيره بتلك الأيام التي أمضتهم في شقاء
بسبب هاجس الحمل!
أشفق عليها وهو يري ملامح وجهها المتغضنة بالألم
فقال وهو يمرر أصابعه على وجنتها بحنان:
"أهديني شيء الليلة"
نهضت سريعاً مبتسمة متوجهة لغرفة نومهم بينما
يلاحقها بعينيه ناهراً نفسه على التسبب بإيلامها
حتى لو كان دون قصده، ولكن ماذا يفعل وقد
أشتاق بالفعل لجنونها، فحبيبته كانت لديها عادة
منذ زواجهم أن تستمع إلى إحدي الأغنيات المنبثقة

من إذاعة الأغاني ليلاً فإذا كانت رومانسية تهديها
إليه وإذا كانت ذات انطباع كئيب تغلق الإذاعة
وتتوقف عن سماعها وتغيرت تلك العادة قليلاً
بعدما جلب إليها حاسوب محمول يؤنس وحدتها،
فأصبحت كل مساء تختار أغنية رومانسية تهديها
إليه وعلي رغم انه ليس بالرجل الرومانسي إلا أن
كان يسعد بما تفعله فلقد جعلته يتقبله رويدًا
رويدًا حتى أصبح جزء من حياتهم، والذي اندثر
منذ إصرارها على البحث عن أسباب تأخر
إنجابهم..
لقد أمن طيلة عمره أن كل شيء رزق ومكتوب
ولذلك لم يتعجل البحث خلف أسباب عدم
إنجابهم ولكن ما أن قارب العامين على الانقضاء
من زواجهم حتى صارت أروى حزينة تريد
الذهاب لطبيب للاطمئنان على صحتها، في البداية

تصميم : فاتن طارق

اعترض وأخبرها أن كل شيء له وقت محدد وانه رزق سينالونه متي ما شاء الله..

"هل أدرك بقلبه الألم الذي خبئه القدر له؟"فكر بحزن وهو يتذكر كيف انه أخيراً رضخ لإرادتها ولم يتحمل إبقائها حزينة أكثر من هذا ليصبح الحزن والألم جزء من قدره بعدما توجه للطبيب وأخبره حينها انه رجل عقيم لا يستطيع أن يمنح زوجته الأطفال الذين ترغب بهم..

عاد من أفكاره الكئيبة على صوت خطواتها فابتسم وهو يراها تضع حاسوبها المحمول ثم ضغطت على إحدى الأغنيات،

قطب بتركيز محاولا معرفة الأغنية التي اختارتها ولكن محاولاته تشتتت بفعل شفتيها التي اقتربت منه هامسة أمام شفتيه:

"هذه الأغنية لأجلك"ثم أضافت بحب"ليلة حب

حلوه بألف ليلة وليلة"

وقبل أن يجيبها نهضت من أمامه ثم انطلقت تتهادي في حركاتها الراقصة على كلمات الأغنية التي تعرف إليها وهي تتغني بها مع أم كلثوم ..

دي ليلة حب حلوه بألف ليلة وليلة..

بكل العمر، هو العمر إيه غير ليلة زي الليلة..

يا حبيبي إيه أجمل م الليل؟ واتنين زينا عاشقين..

تايهين.. ما احناش حاسين العمر ثواني والا سنين..

حاسين اننا بنحب وبس..

عايشين لليل والحب وبس..

يا حبيبي الحب حياتنا وبيتنا وقوتنا..

للناس دنيتهم واحنا لنا دنيتنا..

وإن قالوا عن عشاقه بيدوبوا في نار أشواقه..

أهي ناره دي جنتنا..

و الحب عمره ما جرح.. ولا عمر بستانه طرح..
غير الهنا وغير الفرح..
يا حبيبي يلا نعيش في عيون الليل..
ونقول للشمس تعالي تعالي بعد سنة..
مش قبل سنة..
دي ليلة حب حلوه.. بألف ليلة وليلة..
بكل العمر، هو العمر إيه غير ليلة زي الليلة..
يا قمر ليلي.. يا ظل نهاري.. يا حبي.. يا أيامي
الهنية.. عندي لك أجمل هدية..
كلمة الحب اللي بيها..
تملك الدنيا وما فيها..
واللي تفتح لك كنوز الدنيا ديه..
قولها ليه قولها للطير.. للشجر.. للناس.. لكل
الدنيا..
قول الحب نعمة.. مش خطية..

الله محبة.. الخير محبة النور محبة..
يا رب تفضل حلاوة سلام أول لقا في ايدينا..
اتسعت عينيه بدهشة وهو يراها تتحرك بانسيابية
على نغمات الأغنية _ لم تكن المرة الأولي التي
يراها بها ترقص _ فلقد أصر عليها عدة مرات أن
ترقص له ولكن بحركاتها اليوم ونظراتها شيء
مختلف وكأنها تمنحه روحها مع كلمة تنطق بها
مردده كلمات الأغنية وهي تتراقص بخطواتها
أمامه، خاصة بالمقطع الأخير
وفرح أول ميعاد منقاد شموع حوالينا..
ويفوت علينا الزمان يفرش أمانه علينا..
يا رب..
لا عمر كاس الفراق المر يسقينا..
ولا يعرف الحزن مطرحنا ولا يجينا..
وغير شموع الفرح.. ما تشوف ليالينا..

تصميم : فاتن طارق

يا حبيبي يلا نعيش في عيون الليل..

ونقول للشمس تعالي بعد سنة..

مش قبل سنة..

نهض من مقعده وجسده لم يعد يتحمل ابتعادها عن حضنه أكثر من هذا فجذبها لحضنه وهو يتمتم معها

دي ليلة حب حلوه.. بألف ليلة وليلة..

بكل العمر، هو العمر إيه غير ليلة زي الليلة..

اقترب من أنفاسها اللاهثة وعينيه تعلنان عن توقه وعشقه لها قائلاً بعبث:

"يبدو أن الليلة هي ليلة تحقيق الأمنيات بدايتها قهوة ونهايتها أغنية أعشقها ورقصة"ثم أضاف بحب"أعشقك جنيتي الساحرة"

عضت شفتيها بدلال وهي تلف ذراعيها حول عنقه:

"أمنيات حبيبي أوامر"

رفعها بين ذراعيه وهو يجيبها بعشق"معكِ قلبي لا أشعر بحاجة للتمني فكل أمنياتي تتحقق عندما أحتويكِ بين ذراعاي"

لم يدع لها فرصة لتجيبه وهو ينهل من شهد شفتيها الذي يدمنه ويجعله ينسي ألامه ومخاوفه مما قد يحمله له الغد ويبعدها عنه!!

تصميم : فاتن طارق

ابتسمت بمجاملة على شيء قالته زوجة شقيقها دون أن تدري ماهيته حقا فعينيها كانتا مشغولتين بمتابعة زوجها بقلق خوفاً من أن يحدث معه ما يسئ إليه مرة أخري، فاستقبال والدتها له احرجه حينما عاملته بجفاء أمام الأخرين وأجابت أسئلته عن صحتها باقتضاب مزعج.. ورغم أن المتواجدين لم يكونوا كثيرين فلقد اقتصر الاحتفال على شقيقتي جيهان وزوجيهما وكذلك بعض السيدات من الجيران وجارين لفادي إلا أن هذا لم يقلل من حجم الحرج الذي شعر به بشير..

زفرت بضيق والغضب يعاود الاشتعال بجنبات قلبها وهي تري تلك النظرة الكسيرة التي نطقت بها عينيه دون كلمات فلقد جعلتها تتمني لو أنها لم تحضر اليوم، فنظرته كانت عاجزة متألمة تتساءل عن ماهية ذنبه ليتلقى مثل تلك المعاملة

الظالمة دون أن يرتكب ما يستحقه!

لقد نجحت بوأد رغبتها في احتضان بشير لصدرها حينها وأخباره ألا يهتم بأحد سواها حتى وإن كان هذا الأحد هو والدتها الغالية على قلبها، ألقت نظرة عاتبة على والدتها وهي تفكر لمتي سيتحمل بشير ذلك الجفاء منها؟ لمَ لا تتفهم والدتها أنها راضية بحالها؟ وأنها لو خُيرت بأن تكن مع رجل أخر ولديها أطفال وبين بشير لاختارت بشير دون تفكير..

انتبهت من أفكارها على صوت بكاء ابن شقيقها الصغير هيثم والذي أقيم الاحتفال على شرفه فقطبت جبينها بتساؤل لزوجة شقيقها:

"لمَ يبكي؟"

"يريدني أن أحمله ولقد تعبت من حمله"أجابت جيهان زوجة فادي بنزق وهي تحاول إسكات

صغيرها بينما هو متشبث بالبكاء كوسيلة للضغط عليها.

ابتسمت أروى بحنان وهي توجه حديثها لجيهان ماده يدها لتتناول الصغير قائلة:

"اعطني إياه.. وارتاحي قليلًا"

زفرت جيهان براحة وهي تتخلص من طفلها الذي لا يفارق ذراعيها إلا ساعات قليلة فصغيرها الذي بلغ عاما متعلق كثيرا بالحمل ولأنه الصغير فهي توافقه حتى لا يبكي ولكنها الآن مستنفذة الطاقة فتنظيف منزلها للاحتفال مع رعاية ثلاثة صغار أرهقها، ابتسمت وهي تري صغيرها تناساها وهو متعلق بذراع أروى محاولاً جذب أكبر قدر من خصلات شعرها التي تطالها يده فقالت أروى ضاحكة وقلبها ينبض بالحب نحو ملامحه البريئة والتي لا تخلو من دهاء تنقد بها نظراته حتى أنها

تكاد تقسم انه يفهم كل ما يدور حوله.

"سيعذبك حين يكبر جيهان.. انظري لمكره يبتسم ببراءة لأقربه مني فيجذب شعري"

"كل الأطفال هكذا متعبون"علقت إحدي جارات جيهان فردت سيدة أخري كبيرة السن _تجلس على طرف الأريكة التي تجلس عليها أروى_ بتذمر:

"الأطفال هم ذاتهم بكل زمان ولكن الفرق أن فتيات اليوم من أصبحوا لا يحتملون بذل مجهود"ثم أضافت وهي تنظر لأروى بلطف

"ولكن أنتِ من الواضح أن لديكِ صبر في التعامل معهم فالصغير كان يبكي مع والدته والآن يضحك"ثم تساءلت بفضول"هل أنتِ مرتبطة؟"

تلونت وجنتي أروى بالاحمرار وهي تري نفسها بموقف لا تحسد عليه فنظرات السيدة وكأنها تخضعها لفحص يتعلق بالزواج، نظرت من طرف

عينها باتجاه بشير فوجدت عينيه مرتكزتين عليها وتلمعان بتساؤل، فابتسمت رغما عنها وهي تفكر بما سيكون رد فعله إذا أخبرته أن أحداهن عاينتها لأجل عرض بالزواج، مؤكد سيجن فهو رغم هدوءه وعقله الراجح إلا انه يغار عليها بشدة، اضطرت لتحويل نظراتها عنه وهي تستمع لصوت جيهان توضح للسيدة:

"أروى تكون شقيقة زوجي المتزوجة معنا بنفس البلد والتي أخبرتك عنها قبلاً"ثم أضافت مكملة التعريف"السيدة أم مازن انتقلت لبنايتنا منذ بضعة أشهر ولكنها احتلت قلوب الجميع هنا بالبناية"

"أعزك الله يا جيهان"قالت أم مازن بامتنان ثم وجهت حديثها لأروى"خسارة لقد أحببتك وفكرت أن أزوجك لمازن ولدي ولكن كل شيء نصيب"ثم

تصميم : فاتن طارق

أردفت بطيبة

"رزقك الله بالذرية الصالحة حبيبتي"

شحب وجه أروى وهي تتلقي الدعوة فبيوم كانت تؤمن على مثلها أما الآن فهي تعلم أنها بعيدة عنها بعد النجوم عن الأرض، رفعت عينيها نحو بشير تطمئن انه لم يستمع إلى مثل تلك الطعنة التي من المؤكد كانت ستؤلمه أشد الإيلام فاطمأنت وهي تراه منشغل بالحديث مع خالها فتشاغلت باللعب مع هيثم متجاهلة الرد على دعوة تلك السيدة أو رفع نظرها لتلتقي عينيها بأحد الجالسين والذين يعلمون باستحالة إنجابها بوضعها هذا إلا أنها اضطرت لرفع رأسها بحدة وهي تستمع إلى والدتها التي ظلت صامتة منذ بدء الحديث ولم تنطق سوى بهذه اللحظة لتقول بغل شعرت به أروى:

"اللهم أمين.. لا يوجد بهذه الدنيا شعور أجمل من أن يري الإنسان طفل له، حينها يسعد قلبه ويذهب كل تعبه"

"معك حق يا أم فادي الأطفال نعمة.. فأنا عن نفسي لا أتمني سوى أن أري أطفال مازن ولدي"وافقتها أم مازن

وجهت أروى نظرة لائمة لوالدتها تجاهلتها وهي تردف قائلة بصوت عالي ليصل للجالسين معهم بغرفة المعيشة الكبيرة بمنزل فادي:

"رزقه الله ببنت الحلال التي تريحك وتنجب له الذرية الصالحة، فلا شيء بهذه الحياة يعطي لها معني سوى الأطفال"

ازدردت ريقها بألم فوالدتها تتفنن في إيلامها فصوتها كان عالي وهي تنطق بكلماتها الأخيرة بشكل مقصود، ومن الصمت الذي أعقب جملة والدتها الجارحة تأكدت أن بشير قد استمع إليها،

شعرت بنظراته مسلطة عليها وبدون إرادة منها رفعت عينيها نحوه ورغم تخيلها للنظرة المرتسمة بعينيه إلا أنها ذبحتها بقسوة، أرسلت إليه نظرة معتذرة راغبة بمحو الألم الذي رأته بعينيه، فقالت تحاول تطبيب مشاعره المجروحة مواجهة لنظرات والدتها بقوة:

"الأطفال ليسوا أهم شيء بالحياة، فأهم شيء هو راحة القلب والبال"

"معك حق أروى"قال ياسين محاولاً التخفيف عن بشير الشاحب بجواره ثم رفع يديه بقلة حيلة مبرراً تدخله في حديث النساء وهو يبتسم باتزان:

"رغما عني جذبني حواركم يا أم فادي"ثم أردف بهدوء"وأنا مع رأي ابنتك، أهم شيء هو القناعة والرضا بالمكتوب"

لوت رحمة شفتيها بغيظ وهي تقول:

"بالطبع الرضا شيء جميل، لكن الإنسان عليه أن يسعي ليحقق الأفضل بحياته، أليس كذلك؟"

أومئ الجميع أمام منطقها فأكملت وهي ترمي ابنتها بنظرة حانقة ثم وجهت نظرها لشقيقها وبشير.

"أنت مثلا يا ياسين، لمن تسعي وتكد في عملك، أليس من أجل أولادك؟ ما كانت فائدة تعبك بدون أولاد، ففي النهاية الحياة لا تستقيم بدون أولاد فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا"

وضعت أروى يدها على فمها تكتم شهقتها من كلمات والدتها التي تذبح بقلب بارد حبيبها، رمقته من طرف عينها فوجدته شاحب الوجه كاتم لأنفاسه كأنه يخشى التنفس فيتألم قلبه أكثر من هذا، لا لن تصمت على جرحه أكثر من هذا، التمعت الدموع بعينيها فقالت وهي توجه

تصميم : فاتن طارق

نظراتها المعاتبة لوالدتها:

"والْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا

صدق الله العظيم"ثم أضافت بحدة"الأطفال قد يكونون نعمة أو نقمة أمي"

وأمام النظرات المستهجنة من المحيطين بها أردفت بتبرير:

"كم من ابن عاق كان سبب في شقاء والديه وحرمانهم من العيش بهناء"

أشاحت رحمة بعينيها بسخط عن نظرات ابنتها المهاجمة وهي تكاد تتميز غيظًا فلقد أرادت إحراج بشير وإشعاره بضعفه أمام الجميع دون أن توجه حديث مباشر له ولكن ابنتها أفسدت مخططها وهي تهب للدفاع بكلمات متوارية تطيب خاطره، متي ستفهم أروى أنها تضيع حياتها بدون مبرر بهذا الشكل؟! فأشقائها كل منهم لديه أكثر من

طفل يسنده أما هي فإذا ظلت مع ذلك البشير ستكون بدون سند تتوكأ عليه في مستقبلها.

رفعت رأسها بحده وهي تطالع شقيقها بغضب وهو يؤيد ابنتها قائلاً:

"أحسنتِ أروى.. معكِ حق.. كل شيء بهذه الحياة له شقين أحدهم جيد والآخر سيء.. أنها في النهاية مشيئة الله"

"فليطعم الله كل من أراد وليرزق الجميع بالذرية الصالحة"تدخلت أم مازن بود

تنحنحت جيهان بحرج ثم قالت بابتسامة موجهة للجميع:

"هيا نقطع قالب الحلوي"ثم نادت"فادي"في إشارة لينهض ومعه باقي المدعوين

أعطت أروى هيثم لوالدته ثم توجهت لتقف بجوار بشير واجم الملامح ثم مدت يدها لتحتوي

تصميم : فاتن طارق

الفصل الثالث

يده متخلية عن خجلها إذا رأها أحد تتمسك بيده كالمراهقين، ولكنها شعرت بالحاجة لإخباره أنها بجواره وستبقي دائماً حتى وان اعترض العالم أجمع فهي لن تتركه بيوم، التفت ينظر إليها بدهشة من حركتها فابتسمت له بنظرة حنونة أذابت ألمه فشد على يدها بالمقابل ثم ردا بذهن غائب في دهاليز الألم المفروضة عليهم من قِبل القدر كلمات أغنية عيد الميلاد تحت نظرات رحمة المغتاظة..

دمعة يتيمة سمح لها بالسقوط من عينيه ثم عض على شفتيه بقسوة يمنع غيرها من الهبوط لوجنته، فلن يبكي رغم أن ألمه فاق الحد، لن ينوح كالنساء رغم انه في هذه اللحظة عاجز مثل أضعفهن، سيتحمل بصبر كما يفعل عادة، فهذا قدره ولن يشكو أو يتساءل على أي ذنب عاقبه الله هكذا؟؟ استغفر الله كثيراً بداخله مرددا الحمد لله على كل شيء، فهذا ابتلاء وقد اختبره الله به وعليه الصبر.. فرك جبينه بإرهاق وهو يشعر بأحمال الدنيا قد تكومت على كتفه فلو كان الأمر يخصه لما غضب أو حزن كثيراً بل كان سيتقبله في رضا لكن الأمر أيضا يمس حياة أروى، والتي بوجودها معه يحرمها من فرصة حياة طبيعية هي من حقها..

ولكنه لا يستطيع أن يطلق سراحها فكأنه بذلك يطلق رصاصة طائشة على جسده ثم يتركه ينزف

ببطيء مؤلم فأروى حياته بابتعادها يتساوى عنده الموت والحياة، هي النسمة التي تخفف عنه أوجاعه، انه يخلد للنوم فقط لأنه يعلم انه سيستيقظ ليجد وجهها الجميل مقابل لعينيه، وابتسامتها الرائقة تنير يومه، أنها من تمنحه القوة عندما يضعف، وتعيده مراهق تتقافز دقات قلبه عندما تحاول ببراءة إغراؤه، فهي الوحيدة القادرة على تلوين حياته بشتى الألوان..

فحتي في غضبها يعشقها بشدة، لقد اعتاد أن يحتار عندما يخبره سامر صديقه متأففاً عن كيف أن غضب المرأة كابوس مزعج يحيل حياة الرجل لعذاب أشد قسوة من المعتقل، لكن غضب أروى حبيبته كان دائماً مختلف يحيل حياته لسلسلة نارية من المفرقعات بالون الأحمر فعينيه تنجذبان إليها فلا يستطيع أن يحيد عنها بوجنتيها المحمرتين

ونظراتها الشرسة وشفتيها المزمومتين واللتين تدعوانه لتقبيلهما، فلا يزعجه حينها سوى تلك اللمعة بعينيها والتي تهدده بسقوط دمعاتها ولأشد ما يكره أن يكون سبب سقوطهم..

ابتسامة ندت عن شفتيه وهو يتذكر شجارهم الأخير والذي يعد أطول شجار لهم منذ زواجهم، فيومها ثارت أروى عليه لتبادله المزاح مع ابنة خالته حتى أنها اتهمته انه لم يعد يحبها بل وأصبح يبحث عن غيرها، المجنونة حاول تهدئتها ولكنه فشل وأصابه الإحباط وهي تدير له ظهرها معلنة بذلك بدأ الخصام بينهم، لقد غضب من تصرفاتها حينها بداية من غيرتها واتهامه بانه توقف عن حبها ونهاية بإعلانها مخاصمته وهي تتجنبه مخلفة بذلك عهدهم، فلقد أتفقا منذ بدء زواجهم أن ينهوا خلافاتهم دائماً في نفس اليوم فلا يأتي

تصميم : فاتن طارق

الصباح عليهم إلا والود يسود حياتهم إلا في هذا اليوم، أعلنت أروى الحرب دون أن تظهر النية لإنهائها فاغتاظ هو الأخر ولكنه لم يستطع أن يظل غاضباً منها لأبعد من ثاني يوم فحاول مراضاتها عندما عاد من عمله، متقبلاً دلالها عليه ولكن رافضاً أن تعيد تلك الجملة التي جرحت قلبه بانه توقف عن حبها، فإذا توقف قلبه عن حبها فهذا يعني انه توقف عن التنفس، عن الحياة، فحب أروى في قلبه كشريان يمد روحه بالحياة، فكيف يتركها إذاً؟؟ يا الله كيف؟؟ انه أمر يفوق طاقته..

"لمَ مازلت مستيقظ؟"

طرف بعينيه ليطرد شبح الدموع منهما ثم رفعهما لينظر لأروى الواقفة على باب غرفتهم تفرك عينيها الناعستين فأجابها قائلا بصوت متحشرج:

"جفاني النوم فخرجت لكي لا أوقظك"

اقتربت منه تجلس بجواره وكعادة لها وضعت رأسها على كتفه قائلة بصوت قلق:

"بمَ كنت شارد؟"

نظر لرأسها المستكين على كتفه بحب، ود لو احتضنها بقوة ليزرعها بقلبه فلا يستطيع شيء التفرقة بينهم ولكنه لا يرغب بإقلاقها أكثر من هذا فمن نظراتها المتوترة علم برغبتها بالاطمئنان عليه من بعد عودتهم من حفل ابن شقيقها، فلقد التزم الصمت منذ عادوا بل انه حاول النوم ليتهرب من الحديث معها فبذلك الوقت أي كلمة كانت ستقال كانت ستزيد من جرحه أكثر، لقد أراد أن يهدئ كبرياؤه الجريح أولاً قبل أن يحادثها فيحملها ما يفوق طاقتها فهو أبداً لن يقبل أن يخضعها للضغط لتختار بينه وبين والدتها أو حتى يفكر مجرد تفكير بان يفرقهما عن بعض، فلن

تصميم : فاتن طارق

يقبل أن يسلبها أكثر مما سلبها بالفعل..

"بشير.. لماذا لا تجيبني؟"قالت أروى متوترة وهي ترفع رأسها لتنظر لوجهه القريب من وجهها، فصمته يقلقها ويؤلمها فهي تريده أن يخرج النار التي تنهش قلبه حتى وإن لعن وسب فهي ستتقبل منه أي شيء إلا سكوته هذا الذي يجرحها ويشعرها بالذنب فهي المذنبة والتي جعلته يتعرض لكل هذا صامتاً من أجلها!

ابتسم في وجهها يطمئنها ثم قال بمشاكسة:

"اخشي إذا أخبرتك أن تغضبي"

قطبت جبينها مضطربة بداخلها ثم عقدت عزيمتها وهي تقول بأمر:

"بلي أخبرني"

اتسعت ابتسامته لتنير وجهه وهو يراها تقاوم خوفها مما سيقول لأجله فقال:

"تذكرت عندما غضبتِ مني بسبب محادثتي لإيمان"

"ماذا؟"همست بذهول سرعان ما تحول لغضب شديد جعل وجنتيها تحمران وتبدوان لعينيه لذيذة"ما الذي ذكرك بتلك الخبيثة الآن ولمَ تفكر بها من الأساس؟ هيا انطق"

سيطر على ابتسامته وهو يقول زاما شفتيه:

"لا تدعيها بهذا اللقب لا تنسي أنها ابنة خالتي"

"وتدافع عنها أيضاً"قالت بحنق وهي تقف ثائرة

هز رأسه بعجز وهو يشعر انه أوقع نفسه بورطة فقال بهدوء:

"لا أدافع عن أحد ولكن صلة الرحم تجبرني ألا أقبل بإهانتها ثم هي لم تفعل شيء تستحق نعتك إياها بالخبيثة"

تخصرت وهي تردد باستنكار:

تصميم : فاتن طارق

"لا تستحق أن أنعتها بالخبيثة!"ثم صاحت وهي تردف"وماذا تسمي مزاحها وضحكها معك وعندما أتيت لأقف معكم، عاملتني وكأنني غير موجودة وكل دقيقة هل تتذكر يا بشير عندما كنا أطفال وخمسين ذكري في الدقيقة الواحدة"

لم يستطع كبت ضحكته أكثر من هذا وهو يراها ترفع صوتها لتقلد ابنة خالته ثم صمت يطالعها بعشق وهي تردف بقهر:

"الخبيثة تظنني لم انتبه لمحاولاتها في جذب انتباهك، فهي لم تيأس بعد رغم زواجك بي"

وقف ليقترب منها فأدارت ظهرها له، فتمسك بخصرها ليديرها رغم رفضها قائلاً وهو ينظر في عينيها بهيام:

"لا أحد يستطيع جذب اهتمامي سواكِ.. فأنتِ الوحيدة القادرة على تحريك قلبي"

عضت شفتها بدلال وقلبها ينبض بعنف بصدرها إثر كلماته والتي لم يفقدها الزمان سحرها أو تأثيرها عليها ثم قالت بغيظ وهي تتذكر شروده:

"ولذلك كنت شارد بذكرياتك مع ابنة خالتك!"

داعب طرف أنفها بأصبعه بمشاغبة وهو يتمتم بلطف:

"حمقاء"ثم أردف وعينيه مسلطة على عينيها "كنت شارد بكِ وليس بها، كنت أتذكر غيرتك عليّ وحبك لي، وخيالي يداعب قلبي مصوراً إياكِ بوجنتيك المحمرتين غضباً فاشتهي تذوقهما وشفتيكِ مضمومتين بضيق فأود تقبيلهما حتى تنسي ضيقك، فتتحول نظرة عينيك الحانقتين لأخري مليئة بالوعود والحب.. وعود وحب يخصوا قلبي فقط"

وضعت يديها على كتفيه تستند إليه فكلماته

داعبت أوتار قلبها فضم خصرها أقرب إليه فقالت بهمس حاني:

"دائماً وأبداً قلبي سيخصك فقط"ثم أردفت بتحذير"وقلبك يخصني فقط.. تذكر ذلك"

مجنونة.. همسها قلبه دون أن ينطق وكأنه يستطيع أن ينسي حبها الموشوم بروحه، فروحه لا تهدئ سوى بأحضانها، رفع إحدي حاجبيه بمكر وهو يقربها أكثر حتى أصبحت شفاهه تتلمس شفتيها برقة ثم قال من بين قبلاته:

"حالياً لا أتذكر سوى إنني مشتاق إليك كثيراً"ثم أردف بخبث"وهذا يجعلني أتساءل أرأيت قميصك الأسود هذا من قبل؟"

لكزته بخصره وهي تقول:

"لقد ارتديته مرة من قبل"

"حقا إذاً عليّ أن انشط ذاكرتي قليلاً"قال بشير

بعبث وهو ينحني ليحملها بين ذراعيه ثم أطبق على شفتيها مانعا إياها من الحديث فكل ما يريده بهذه اللحظة هو أن ينصهر بها، فحبها يمنحه قوة ليتحمل كل شيء ويتناسى أي شيء حتى ولو كان كبرياؤه الجريح!!

تصميم : فاتن طارق

بتبض قلبك أحيا

عادت أروى إلى مطبخها بأكتاف منحنية إرهاقا بعد أن أنهت مكالمتها مع والدتها، فوالدتها منذ عيد مولد ابن شقيقها وهي مستمرة في إلحاحها وضغطها، أنها تطلب منها المستحيل وتخيرها بينها وبين بشير..

لا تفهم لمَ تظلمها وتوجع قلبها بهذا الشكل؟

أخذت تقلب خليط الخضراوات على النار بذهن شارد حتى لم تشعر بسقوط دموعها سوى وهي تري نقط تتساقط من وجهها..

أغلقت الوعاء مبتعدة لتجلس على مقعد صغير بمطبخها ثم أسقطت رأسها على الطاولة التي أمامها وأخذت تشهق بوجع، رباه هي لم تعد تحتمل! لمَ والدتها تصعب عليها الحياة؟ فهي لا تريد خسارة والدتها رفيقة روحها كما لا تستطيع أن تفقد بشير حبيب عمرها فالأمر يفوق طاقتها!

تصميم : فاتن طارق

لطالما أخبرتها والدتها أنها تتفهمها وتشعر بها فلمَ لا تفعل ذلك الآن؟ ما الذي تغير وجعلها تعجز عن رؤية حبها العميق لبشير، فلا أطفال أو غيرهم سيستطيعون سد الفجوة بروحها إذا تركها بشير، بل ستموت قهرا حينئذ..

"انه السبب"تمتمت بغيظ من بين أسنانها وهي تتذكر عندما عرضت عليه أن تخبر والدتها_ المنتظرة نتائج فحص الطبيب لهم على أعصابها _ ان العيب منها ولكنه رفض بشهامة متوقعة منه قائلاً:

"ألا يكفي أنني أظلمك وأجعلك تبقين معي.. تريدين أيضاً أن تجعليني مدعي بطولة لا أستحقها"

لو كان وافق لحُلت القضية بل كانت ستظل والدتها ممتنة له العمر كله وكانت ستبقي

معاملتها جيدة له..

"معاملة جيدة!"فكرت أروى بتهكم فلقد تحطمت كل الاعتبارات منذ أخبرت والدتها بعقم بشير، فوالدتها التي كانت تعتبره بمثابة ابن ثاني لها وتحبه أكثر من زوج أسماء البخيل، أصبحت تنظر له على انه العدو الأكبر بحياتها، بل وتبدلت المكانات فأصبح زوج أسماء هو الزوج المثالي متناسيه بخله الشديد فقط لأنه منح أسماء أطفال..

وكأن جميع المحاسن التي يمتلكها الإنسان تُمحي حين يعجز عن أداء دور من أدواره بالحياة كأن ينجب، لقد تعبت أروى وهي تخبرها كل مرة تراها أن الأطفال ليسوا أهم شيء بالوجود، نعم مهمين لن تنكر ولكن الحياة يمكنها أن تستقيم بدونهم فكم من قصة مشابهة لقصتها هي وبشير

تصميم : فاتن طارق

سواء كان العجز من الرجل أو المرأة واستمر الزوجين للنهاية طالما كانا يتمتعان بالحب بينهم.. لكن والدتها تعجز عن رؤية ذلك بل لا ترغب برؤيته من الأساس تاركة إياها تتألم بقسوة نتيجة كلماتها بل ووضعتها تحت وطأة الاختيار..

أنها تشعر بالاختناق من ذلك الضغط الذي تمارسه عليها والدتها ولا تستطيع أن تنطق بكلمة، فإذا أخبرت بشير سيتألم بل وقد يتهور مخبراً إياها انه قد يتركها إذا كانت راغبة بذلك، أنها تفهم تفكيره المثالي والذي يصيبها بالجنون أحياناً كما فعل حين أصر على إخبار والدتها الحقيقة، فلو استمع لنصيحتها وكذبا لكانا الآن سعداء لا ينغص حياتهم شيء..

تنفست بعمق وهي تمسح بيديها بقايا الدموع من على وجنتيها ثم نهضت تغلق الموقد فلقد طاب الحساء الذي أعدته ثم توجهت لهاتفها وفي رأسها أن تطلب العون من شقيقها، فلربما كان متلهي بحياته ودوامتها، إلا انه يظل شقيقها وعليه مساعدتها بإقناع والدتها بالكف عن الضغط عليها فأعصابها تعبت.

اتاها صوت شقيقها القلق على الهاتف:

"أروى هل أنتِ بخير؟"

ابتسمت ساخرة فهذا المتوقع عندما تحادث شقيقها أن يظن أنها ليست بخير، شقيقها الذي من المفترض أن يكن بمقام والدها والمسئول عنها!

"لا تظلميه أروى.. انه معذور دوامة الحياة سرقته والمسئولية التي يتحملها ليست بالأمر اليسير في هذا الزمن"نهرت نفسها بصمت ثم قالت تطمئنه"بخير فادي لا تقلق"ثم همست

تصميم : فاتن طارق

بضعف"ولكنني أحتاجك"

"انتظري لحظات.. سأبحث عن مكان فاضٍ"بعد لحظات قال"خير أروى؟ هل أغضبك بشيرٍ بشيء؟"

"لا.. لا بشير لم يفعل لي شيء"ردت سريعاً ثم أردفت بألم"ليت الجميع مثل بشير يهتمون بسعادتي"

"ماذا هناك إذاً؟"حثها فادي على الحديث

"أمي"نطقتها بعذاب ثم تابعت موضحة"منذ علمت بعدم قدرة بشير على الإنجاب وهي تغيرت، فأصبحت تكرهه وتطور الأمر معها أن تخيرني بين رضائها على وبين بقائي مع بشير"

"نعم لقد شعرت بهذا الاختلاف يوم عيد ميلاد هيثم"علق فادي

"فادي أريدك أن تتحدث معها ألا تضغط عليّ فأنا لا أريد أن ابتعد عن بشير"قالت أروى برجاء

صمت فادي قليلا ثم قال بتخاذل:

"أروى لقد طلبت مني والدتنا أن أتحدث إليك وكنت انتظر الفرصة المناسبة لذلك"

"تتحدث معي عن ماذا؟"تساءلت أروى بقلب مقبوض

"أنها تريدك أن تبحثي عن مستقبلك بعيدًا عن بشير"قال فادي متوتراً

"وأنت هل توافقها على رأيها هذا؟"سألت باستنكار

"لن تستطيعي أن تنكري أن معها حق أروى، أنتِ تضيعين على نفسك أجمل إحساس بالحياة، فالأولاد نعمة"قال فادي مبرراً ثم أردف"أنتِ صغيرتها التي تعشقها وتتمني سعادتها ولا تستطيع أن تقف وتراكِ تضحين بحياتك هكذا دون أن تتدخل"

تصميم : فاتن طارق

"ولكنها حياتي وأنا راضيه بها"اعترضت أروى بحدة ثم أضافت بألم"أنا لا أريد أن تخيرني بينها وبين بشير.. لا أريدها أن تجعلني أمر بهذا الاختبار القاسي فادي"مردفة برجاء"من فضلك تحدث معها فادي"

"سأفعل ولكن لن أعدك بشيء فأنتِ أكثر من تدرين بعناد والدتنا"قال فادي بضيق

"حسناً.. شكر لك فادي"همست بخيبة أمل

"هل لك أنتِ أيضا أن تفكري بحديثنا وبما تطلبه والدتي.. أن لها بعض الحق في وجهة نظرها"

مررت يدها بخصلات شعرها تعيدهم للخلف بقهر فحتي فادي مقتنع بحديث والدتها فكيف سيقنعها بوجهة نظرها هي؟؟ كيف سيتبني إذن موقفاً هو في الواقع غير متحمس له؟؟ فهو يري بقائها مع بشير تضحية وهي تري أن بقائها مع بشير هو

حياة لقلبها ولروحها!

"سلم لي على جيهان والأولاد وداعاً فادي"تمتمت قبل أن تغلق هاتفها ثم توجهت لغرفتها لترتدي عباءتها فوق قميصها المنزلي لتستطيع الذهاب لميرفت فهي الآن بحاجة لأحد ترتمي على كتفه وتبكي.. فقط تبكي.. تبكي وحدة تشعرها، وظلم يتعرض له قلبها المسكين بدون أن ترتكب ذنبا!

نزلت على عجل على الدرج ثم رنت جرس باب ميرفت لتفتح الأخرى بدهشة وكما وعدت نفسها ألقت بجسدها في أحضانها تترك العنان لدموعها وهي تعلم جيداً أن ميرفت أكثر من قادرة على احتوائها فهي الوحيدة التي لم تطالبها بعد بالابتعاد عن بشير!

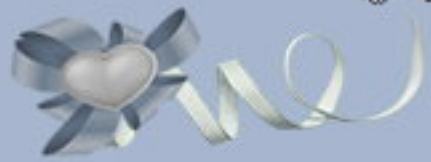

تصميم : فاتن طارق

بتبض قلبك أحيا

كان يداعب مصطفي ابن شقيقه بمحبه فلهذا الصغير مكانة خاصة منذ رأه، طبع عدة قبلات على وجنته الناعمة التي لا ينافسها في نعومتها بالنسبة إليه سوى وجنة أروى، لن ينسي شعوره عندما حمله لأول مرة بين يديه منذ عدة شهور ففتح الصغير عينيه للحظات ليطالعه ثم أغمضهما مجدداً، فسرق قلبه بنظرته تلك للأبد، تنبه من غرقه بصغير شقيقه على صوت والدته المتسائل:

"لمَا لم تحضر أروى معك؟"

"لقد خرجت لتري احدي صديقاتها التي عادت من السفر"أجاب بشير ثم أردف وهو ينظر لوالده ووالدته بمحبة"لقد كنت جالس بمفردي وفكرت أن أمر عليكم واقضي الوقت برفقتكم"

"تنورنا بني"قال مصطفي والد بشير بحب

ابتسم بشير بامتنان ثم عاد يداعب ابن شقيقه

مخترعاً أشكال مضحكة بوجهه ليضحك الصغير، استغرق في ملاعبة الصغير حتى انه لم يشعر بقدوم شاهندة زوجة شقيقه والتي أتت من المطبخ حاملة صينيه عليها أكواب العصير فقال حسام لشقيقه الكبير وبداخله يشفق عليه:

"بشير أعطي مصطفي لشاهندة حتى تستطيع أن تشرب العصير"

رفع بشير رأسه لشاهندة قائلاً بعتاب"وهل أنا غريب حتى تتعبي نفسك؟"

"لا يوجد تعب"قالت شاهندة بابتسامة ثم أضافت بإحراج وهي تمد يدها تتناول مصطفي"أن موعد رضعته الآن"

سلمها الصغير على مضض وكأنه يسلمها قطعه من روحه، شعرت بتمسكه به فقالت مطمئنة"سيرضع وأعيده إليك"

أومئ موافقا مستعجلاً بداخله اللحظة التي سيعاود احتضانه بها مجدداً، انه لا يستطيع أن يمضي يومين دون أن يراه فهذا الصغير سرق قلبه بالفعل..

مد يده ليتناول كوب العصير فلاحظ النظرات والهمسات اللاتي يتبادلها والديه بين بعضهما وقبل أن يسأل عمَ بهما جذبه حسام في حديث عام عن الأمور العامة

"كيف حال عملك بشير؟"

"بخير وأنت كيف حال عملك؟"

"بخير"قال حسام ثم أردف بحماس"مازلت ابحث عن عقد جيد بالخارج"

تجاهل بشير شهقة والدتهم المستنكرة وهو يجيب حسام بتعقل محاولا تغيير حلم شقيقه الأزلي:

"ما الداعي إليه الآن حسام، أنت تعمل بشركة

تصميم : فاتن طارق

جيدة وراتبك لابأس به ومستقر بشقة والدنا، ما الداعي للغربة وان تحرم أحبابك منك؟"

"أريد أن أحسن دخلي بشير، أريد أن يكون لي شقة خاصة بي، تعلم أنني تزوجت بشقة والدنا لأني لم أمتلك إمكانية أن أحضر شقة خاصة بي، فبعد زواج هاجر، المبلغ المتبقي مع والدنا لم يكن يكفي شيء"قال حسام بضيق

أومئ بشير برأسه موافقاً على ما قاله شقيقه فراتب حسام ليس بالضخم حتى يستطيع أن يدخر منه مبلغ يمكنه من تجهيز نفسه للزواج على عكسه هو فراتبه بالشركة التي يعمل بها مجزي وكذلك المكافأت التي يحصل عليها جراء إتقانه في عمله والتي مكنته من ادخار مبلغ جيد مكنه بمساعدة والدهم من شراء شقة لأروى، نفض أفكاره وهو يعود بتركيزه لحسام محاولا إقناعه بالتخلي عن

تلك الفكرة فقال:

"لا يهم ذلك الآن فلقد تزوجت وحياتك الآن مستقرة كما أن العلاقة بين شاهندة وأمي على أحسن ما يكون فلا داعي لتفكيرك بالسكن خارجاً"ثم أردف بهدوء

"وماذا سيفيدك جمعك للمال وأنت تضيع أجمل سنون عمرك بعيداً عن أهلك وأحبابك!.. صدقني لن يريحك المال عندما تقضي العمر وحيدًا بعيداً عن كل ما ألفته"

طأطئ حسام رأسه وعلي وجهه علامات عدم الاقتناع إلا انه لم يستطع أن ينكر وجهة نظر شقيقه الصحيحة بينما شاهد بشير بعينيه تلك النظرات اللاتي تبادلاها والديه فأثارت فضوله فتساءل.

"ماذا هناك أمي؟"

تصميم : فاتن طارق

"لا شيء بشير لا تشغل عقلك"أجاب والد بشير سريعاً مما جعل بشير يقطب باستغراب خاصة ووالدته تحاول النطق فينهرها والده بعينيه:

"سميرة"

"لمَ لا تريد لبشير أن يعرف؟ أيرضي أن تهان أمه ويصمت؟"قالت سميرة والدة بشير بحده

"سميرة توقفي لم يهينك أحد فلا تكبري الأمر"رد مصطفي بحزم

"من أهانك أمي؟ أنا لا أفهم شيء من حديثكم"قال بشير حائرا وجبينه مقطب

تجاهلت سميرة نظرة زوجها المحذرة وهي تقول بحسم:

"سأخبره مصطفي عليه أن يضع حد لتلك المرأة لا أفهم ما الذي غيرها؟!"وأمام نظرات ولدها الحائرة أكملت بحنق"أمس رأيت والدة زوجتك السيدة

رحمة، ومنذ رأتني تجهم وجهها وعبست بوجهي وعاملتني بتكبر وعنجهية وكأنها لم تكن تلك المرأة التي تفرح برؤيتي وتحادثني بسعادة وتدعوني لمنزلها دائماً"

زفر بشير بضيق ثم قال محاولاً تهدئة ثورة والدته والتي يعلم أنها محقة بها فهو أكثر من يدرك معاملة حماته الجافة:

"لا تغضبي منها أمي فهي معذورة فيما تفعله"

"ماذا وما هو عذرها يا بشير؟"هتفت سميرة بغضب ثم أردفت بلوم"لم أتخيل أن تنصف حماتك عليّ"

ابتسم بمرارة وود لو كان بإمكانه أن يطلق سراح ضحكات ساخرة عالية فما أبعد ما تلومه عليه والدته عن الحقيقة ولكنه اكتفي بتلك الابتسامة التي تشي لمن يدقق بها عن حقيقة الوجع الذي

يملأ روحه

"أنا لا أنصفها أمي أنا فقط أخبرك أنها معذورة، فهي لم تعاملك هكذا لأجلك بل لأجلي أنا"

قطبت سميرة جبينها بعدم فهم:

"لأجلك كيف؟"

لوي شفتيه بألم وهو يجبرهما على النطق ومصارحة الجميع بنقطة ضعفه:

"أنها فقط لا تطيقني منذ علمت إنني عقيم"

ألمته كلا من نظرة والده المشفقة وشهقة والدته المتألمة بينما تجنب النظر لشقيقه حتى لايري إشفاقه عليه، ورغم عنه ارتسمت ابتسامة على شفتيه وهو يستمع لكلمات والدته الثائرة المرافقة لدمع عينيها المتلألئ بمقلتيها:

"امرأة قليلة الأصل وهل كانت لتجد لابنتها من هو أفضل منك.. بشر لا يحمدون الله على النعمة،

عديمي الإنسانية"

"توقفي أمي.. هي فقط تريد لابنتها الأفضل"قال بشير بصدق

"وهل يوجد من هو أفضل منك فأنت تعامل ابنتها كالأميرة، لا تؤخر لها طلب هي أو أحد من عائلتها، الآن تناست كل ذلك وتريد الأفضل لابنتها؟"ردت سميرة بشدة

"لمَ لا تكملي أمي وتعترفي إنني احرم ابنتها من الإنجاب؟"وأمام شهقة والدته المستنكرة ودموعها التي هبطت أخيراً على وجنتيها قال بمواساة"أمي أنتِ تدافعين عني لأني ابنك ولكنك تتناسين أحقية والدة أروى بأن تري لها أحفاد"

"الأطفال ليسوا كل شيء"تدخل مصطفي في الحديث مؤازرا لولده وهو يراه يتألم بصبر دون أن ينطق بل يبرر للأخرين طعنه

تصميم : فاتن طارق

ابتسم لوالده وقد فهم محاولته ثم قال بصدق موجع:

"للبعض هما كل شيء"

"وابنتها ماذا تري هي الأخري؟هل توافق والدتها؟"قالت سميرة بشراسة وعينيها امتلأتا بغضب أسود متمنية لو كانت أمامها رحمة تلك لقطعتها بأسنانها

طأطئ بشير رأسه وهو يهمس:

"ياليتها توافقها على رأيها بدلاً من شعوري بأنني أظلمها ببقائها معي"ثم رفع رأسه مواجها والدته بعذاب نطقت به ملامحه"أروى تحبني ولا تفكر بالابتعاد عني بل إنني أعلم أنها تتحمل من والدتها مضايقات كثيرة بسببي"

"بنت أصول"تمتمت سميرة بامتنان بينما نهض مصطفي من مكانه وتوجه للأريكة التي يجلس

عليها بشير ثم ربت على كتفه بمساندة قائلاً:

"لا تهتم بأحد فطالما زوجتك تحبك وراضية بالحياة معك فهذا هو المهم"ثم أضاف بتحذير وقد استشف من حديث ابنه الكثير"الظلم الحقيقي أن تفرض عليها قرار لا تريده كأن تبعدها عنك، فلا تفكر بذلك بني"

ابتسم مطمئنا لوالده مغمغماً:

"وكأنني أقدر"ثم أردف بهمس وصل والده فقط"لو كنت استطيع الابتعاد لكنت فعلتها منذ عرفت بعقمي ولكن أروى هي حياتي"

ثم أضاف موجها حديثه بمرح لحسام متجاهلاً تجهم ملامح شقيقه تعاطفاً معه:

"انهض واحضر مصطفي، فزوجتك هربت به خوفاً من أن أكله"

نهض حسام وهو يجيب بشير بابتسامة:

تصميم : فاتن طارق

"لحظات وسيكون عندك، وافعل به ماشئت"

ابتسم بشير بالمقابل له بينما في داخله يحاول التغلب على نيران ألامه والتي تذكيها تلك النظرات المشفقة التي يتلقاها منذ أبلغ عائلته بعقمه، لقد فضل مصارحتهم بالأمر والانتهاء منه حتى لا يظلوا يتحدثون عن أبناؤه ويعلقون الآمال..

تنهد وهو يتذكر رفضه لعرض أروى بأن يخبر الجميع أنها السبب، بالطبع كان يجب أن يرفض كما فعل، فرجولته لم تكن لتقبل بذلك الحل السخيف فما ذنبها هي لتتلقي لوما على شيء لم تفعله، ألا يكفي أنها تتحمل مصيبته وتكمل معه رغم كل شيء؟

استمع لصوت مصطفي يناغي ووالده يداعبه فابتسم ابتسامة بتلقائية حقيقية وقد قرر أن يدع التفكير جانبا ويستمتع بملاعبة ذلك الصغير الذي

أرسله الله اليه ليعوضه مما حُرم منه ابتلاءاً..

تصميم : فاتن طارق

"أروى.. أروى"

ارتسمت ابتسامة على شفتيها وهي تستمع لنداء بشير نافذ الصبر، إلا أنها تباطأت في الرد مقررة انه لن يثنيها شيء عن إخراج اليوم كما تريد..

نظرت برضا للكيك الذي أعدته ثم توجهت لطاولة الطعام لتضعه عليها، تأففت وهي تستمع لنداء بشير مرة أخري عالمة أنها لن تستطيع التهرب هذه المرة فقالت من خلف الباب المغلق لغرفتهم:

"ماذا تريد بشير؟"

أتاها صوته المنزعج من خلف الباب قائلاً:

"أريد أن أخرج لمتي سأظل محتجزاً بالغرفة؟"

"حتي أخبرك أنني انتهيت"أجابت أروى بحسم ثم أضافت بمرح"لاتأخرني حتى لا أطيل فترة احتجازك"

"سأخرج أروى أن لم تنتهي خلال عشرة دقائق، أنا

انتظرك بالغرفة منذ أكثر من ساعتين"قال بشير بضيق

"أفعلها بشير حبيبي واخرج"قالت أروى بابتسامة سمجة ثم أضافت بوعيد"وسيكون مصيرك النوم على الأريكة بالخارج"

اتسعت ابتسامتها وهي تستمع لرد بشير بقلة حيلة"حسناً.. حسناً اذهبي أنتِ وأنا أمري لله سأنتظرك"

توجهت للمطبخ تجلب باقي الحلويات التي أعدتها من أجل مناسبة اليوم فاليوم عيد ميلاد حبيبها وزوجها وكل شيء يجب أن يتم على أكمل وجه، لقد بدأت إعداد كل شيء منذ الصباح إلا انه تبقي عدة أشياء اضطرت لإنهائها بعد عودة بشير ولأنها تعلم انه سيعطلها كما أنها تريد أن تبقي ما أعدته مفاجأة له أمرته بالبقاء بغرفتهم لحين انتهائها وبعد إلحاح شديد ووعد بتنفيذ كل ما يرغب بالمقابل وافق على تنفيذ طلبها..

تنهدت بارتياح وهي تضع أخر طبق من يدها على طاولة الطعام ثم ألقت نظرة تقييمية على الطاولة فوجدت كل شيء مُعد كما ترغب تماماً، فتوجهت للحمام سريعاً لترتدي الفستان الأصفر الذي قررت ارتداؤه لهذه المناسبة، كان بسيطاً ولكنها تحبه، يصل حتى ركبتيها فيظهر رشاقة ساقيها، وينسدل على كتفيها بحمالتين رفيعتين، فيظهر جزء من كتفيها اللتان يغطيهما نصف كم واسع للفستان، ربطت الحزام الخاص بالفستان ثم ضبطت وضعه على جسدها ملقية نظرة عليه في المرآة، ثم مررت فرشاة الشعر على خصلاتها البنية تاركة إياه منسدل بحرية على كتفيها العاريتين..

امتدت يدها لأحمر الشفاه طابعة لون وردي

خفيف عليهما وأخيرا رسمت ظلال خفيفة على عينيها، سحبت نفس متوتر ثم توجهت للخارج ورغم أنها ليست المرة الأولي التي يراها بشير بهذا الفستان إلا أن قلبها كان ينبض بعنف في صدرها بانتظار نظرة رضا من عيني حبيبه..

أن قلبها يتصرف مع بشير وكأنهم مازالوا بأول عهد حبهم وكأنه لم يمر سنوات على عشقهم بل وكأن كل نظرة هي النظرة الأولي وكل همسة هي العهد الأول بينهم بل أن كل لمسة منه مازالت تثير في جسدها رعشة تأثر لايزول آثرها!

نادت بصوت خرج متحشرج من التوتر:

"بشير.. بشير"

لحظات وكان بشير يفتح باب غرفتهم قائلاً بمزاح:

"وأخيراً.. صدر قرار الإفراج عني"ثم صمت وهو يطالعها بحب وانبهار بجمالها الذي يزداد كل يوم

ثم اقترب منها واضعا يديه على خصرها هامساً في أذنها:

"أخبريني ماذا تفعلين بنفسك حتى تزدادي جمالًا كل يوم"

عضت شفتها بخجل وكلماته صبغت وجنتيها بحمرة محببة، جعلته يميل على وجنتها مقبلا لها بتوق وهو يقول:

"أحبك أروى"

رفعت عينيها تنظر لعينيه ثم قالت بصدق:

"وأنا أعشقك حبي عشق فاق الوصف"

أطبق على شفتيها يقبلهما بنهم ويده تضم خصرها بشدة له، يريدها أقرب إليه من أنفاسه، فلسانه لم يجد كلمات كافية ليعبر عن عشقه لها فاستعاض بقبلاته عن الكلمات ليشعرها بماذا تمثل له ليخبرها عن طريقهم أنها ملكته المتوجة على عرش

قلبه..

ابتعدت عنه بعدما شعرت بحاجتها للتنفس وقبل أن يعاود انقضاضه على شفتيها قالت بأنفاس لاهثة:

"ألن نحتفل الأول؟"

"وماذا نفعل الآن؟"سأل بعبث

فلكزته بكتفه وهي تبتعد عن مجال ذراعيه جاذبة يده خلفها ليتوجهوا لطاولة الطعام فصاح بفرحة:

"كيك قدرة قادر"

"أعرف أنك تعشقها لذلك قررت أن أصنعها اليوم بدلاً عن قالب كيك الشيكولاتة المعتاد"

"أفضل شيء فعلتيه"قال بشير وهو يرمق قالب حلواه المفضل بسعادة ثم أضاف بمزاح وهو يري الثلاث شمعات عليه:

"أشعر أن عمري ثلاث سنوات وانا أنظر

للشمعات"

"وهو عمرك بالفعل"قالت أروى بتأكيد وهي تطالعه وأمام حاجبه المرفوع باستنكار أكملت بتبرير"عمرك يبتدئ من اليوم الذي تعارفنا به وهذا ثالث عيد ميلاد نحتفل به معا.. إذاً عمرك ثلاث سنوات"

ضحك وهو يقول:

"وأنتِ ستتمين بعد شهرين أيضا الثلاث سنوات خاصتك"

هزت رأسها بموافقة فقال بتساؤل:

"في تحليلك هذا معناه أن أعمارنا متساوية فأين ذهبت الستة سنوات الفرق بين أعمارنا الحقيقية"

زجرته بنظرة وهي تقول بحزم:"هذا هو عمرنا الحقيقي"ثم رفرفت بأهدابها ببراءة"ألديك إعتراض؟"

تصميم : فاتن طارق

مط بشير شفتيه قائلاً باستسلام:

"لا إعتراض حبيبتي فحتي عمر ثلاث سنوات جميل"ثم أضاف بعبث"ألن تمنحيني الحنان الذي يليق بهذا العمر؟"

كتمت ابتسامتها وهي تعبس بوجهها باصطناع قائلة بأمر:

"أطفئ الشموع أولا ولكن قبلها تمني أمنية"

"لا أحتاج لان أتمني شيء وأنتِ معي"أجابها بصدق جعل عينيها تدمعان

راقبته يغمض عينيه للحظات بخشوع ثم فتحهما واقترب من الشمع يطفئه بأنفاسه فقالت بفضول ويدها تمتد للسكين تقطع القالب:

"ماذا تمنيت؟"

بدا على وجهه التفكير بين أن يخبرها أو لا فرفعت حاجبها بتساؤل فحسم أمره وهو يخبرها بنبرة

حزينة:

"تمنيت ألا نفترق يومًا"

قطبت جبينها وهي تقول بنبرة مؤكدة

"لا شيء قد يفرق بيننا.. لا تذكر هذه الكلمة مجددًا"

طالعها بحب ثم تمتم وهو يجذب يدها لفمه يقبلها:

"أسف.. لا تغضبي"

ابتسمت له فقال يشاكسها وهو يلتهم طبقه:

"ألم تنسي شيء حبيبتي؟"

عبست بوجهها متسائلة:

"ماذا؟"

"هديتي"قال ببراءة وهو يبتلع قطعة كبيرة من طبقه ثم أضاف بخبث"لا تخبريني أنكِ قررتِ أن تضحكي عليّ بالكيك ولم تحضري لي شيء"

تصميم : فاتن طارق

تخصرت وهي تقول"ومنذ متي وأنا أضحك عليك سيد بشير"ثم أضافت بترفع"لقد أحضرت اليك هدية رائعة ستنبهر عندما تراها"

"أنا منبهر بالفعل"تمتم وهو ينظر لقوامها الذي يحرك مشاعره فزجرته بنظرة وهي تري عينيه مركزيتين على خصرها وساقيها وقبل أن تتوجه للداخل لتحضر هديته استمعت لصوت جرس الباب فعقدت حاجبيها باستغراب فمن سيأتيهم اليوم؟ فمن كانت تشاركهم الاحتفال بهذا المناسبة، أصبح إحتمال قدومها تحت الصفر فوالدتها لم تعد تكن الحب لبشير لتحتفل بعيد مولده فمشاعرها تحولت لكره له بدون داعي.

عبر بشير عن أفكارها قائلاً:

"هل دعوتِ أحد اليوم؟"

هزت رأسها بنفي قائلة:

"لا لقد فكرت أن نحتفل معا لوحدنا"

"ادخلي غرفتنا حتى أري القادم"قال بشير بحزم

توجهت أروى لغرفتهم مغلقة الباب خلفها دون مناقشة، فهي تعلم أن بشير لا يقبل أن يراها سواه بهذا الفستان، ألصقت أذنها على الباب حتى تستمع لصوت القادم فاستمعت لصوت والدتها، ففتحت الباب والفرحة تملأ قلبها، فوالدتها لم تنسي بعد عيد ميلاد بشير بل وقررت الاحتفال معهم كما تفعل منذ عرفا بشير!

"مرحباً أمي"قالت أروى بحبور وهي تنضم لوالدتها على الأريكة مقبلة وجنتيها بسعادة ثم أضافت بفرحة"لم تخبريني بقدومك"

"لم أراكِ منذ يومين واشتقت إليكِ"قالت رحمة بلوم مبطن ثم أضافت وهي تنظر لابنتها ومن ثم لبشير بنظرات تقييمية

تصميم : فاتن طارق

"هل أزعجتكم بزيارتي؟"

"لا بالطبع يا أمي.. أنتِ تنوري بأي وقت"نفي بشير سريعاً فنظرت له أروى بامتنان ثم قالت لتلطف الجو بينما والدتها تلقي على بشير نظرات ممتعضة:

"ألن تهنئ بشير فعيد مولده اليوم؟"

شهقت رحمة وهي تقول باستنكار وقد وقعت عينيها على قالب الكيك والحلويات التي تحيط به:

"وهل هو طفل كهيثم ابن فادي حتى تحتفلوا بعيد مولده؟"ثم أضافت بحده"الأطفال فقط هم من نحتفل بمولدهم حتى نسعد قلوبهم"

تجهمت ملامح أروى وهي تنظر لوالدتها بذهول، متسائلة بصمت متي تغيرت والدتها لهذا الحد؟؟ فبالعام الماضي فقط كانت تحتفل معهم بنفس عيد الميلاد الذي تعيبه الآن، بل أنها أهدت بشير زجاجة عطر غالية الثمن..

أبسبب عدم قدرة بشير على الإنجاب تعاقبه بهذه القسوة؟؟ بل وتؤلمه بالكلمات دون اهتمام بمشاعره المجروحة جراء كلماتها التي تلمح لعدم إمكانيته على الحصول على أطفال مثل فادي شقيقها!

نظرت أروى لبشير فوجدته مطأطئ الرأس منطفئ الملامح وقد تبخرت كل سعادته فقالت بحنان:

"بداخل كل منا قلب طفل أمي يحتاج من يسعده"ثم أردفت بفخر"وانا مهمتي بهذه الحياة إسعاد قلب بشير"

تناسي بشير وجود حماته وهو يقول باندفاع دون تفكير ناظرا لأروى بحب فكلماتها تطبب روحه:

"قلبي سعيد طالما أنتِ معي"

نقلت رحمة بصرها بينهم بغيظ ثم زفرت بضيق

تصميم : فاتن طارق

وهي تنهض لاويه شفتيها:

"واضح اني أقلقت راحتكم"ثم تابعت بحنان وهي تقترب من أروى"المهم اني اطمأننت عليكِ حبيبتي"

"انتظري أمي أتيك بقطعة من قالب الكيك"

زمت رحمة شفتيها وهي تنظر لبشير بضيق قائلة:

"لا أريد.. ثقيل على معدتي"

ثم توجهت للباب ترافقها أروى مودعة، استندت أروى على الباب بعد أن أغلقته خلف والدتها ناظرة لوجه بشير الشارد والذي يبدو أن أفكاره حزينة.. من كان يصدق أن ضحكاتهم التي تشاركوها قبل خمسة عشر دقيقة ستنتهي بهذا الشكل بقدوم والدتها ولكنها لن تستسلم لهذا الحزن، نعم تدرك انه تألم من كلمات والدتها ولكنها ستمحي تعاسته وتعيد لعينيه ابتسامتهما،

تصميم : فاتن طارق

ألم يكن ذلك وعدها له؟!

توجهت لحجرتهما ثم تناولت هديتها وخرجت اليه مرة أخري، فوجدته على وضعه غارق بشروده فقررت الجلوس على ساقيه لتحصل على انتباهه، رفع بصره إليها بتساؤل فابتسمت له وهي تمد يدها له بهديتها

"افتحها"

فتح الصندوق الصغير الذي أعطته إياه أروى فانعقد لسانه لا يعرف ماذا يقول وهو يخرج هديتها منه ويمسكها بيده ذاهلاً، ازدرد ريقه برهبة وهو ينظر لعلاقة المفاتيح الفضية التي أهدتها إياه، ففوجئ بقبلتها على وجنته وهي تكرر ما كتب على العلاقة:

"وأني أمنتك في ودائع الرحمن خوفاً من أن أعيش يوماً دونك"ثم قبلته على وجنته الأخرى قائلة:

"كل عام وأنت حبيبي"
فتح فمه ليتكلم، لكن لا شيء خرج من شفتيه سوى همهمة وعينيه متعلقتين باسمه الذي يتدلى من العلاقة أسفل الكلمات التي تدعو له بالحماية والمكتوبة بزخرفة ثم لفت نظره اسم حبيبته "أروى" مكتوب بخط صغير أسفل الدعاء الذي نطقته أروى، امتلئ صدره بعواطف جياشة فرفع العلاقة لفمه يقبلها بحب ثم نظر لأروى وهو يقول بعاطفة قوية:
"كل عام وأنتِ حبيبتي وسعادتي ودنيتي.. أدامك الله لي عشقي"
ثم طبع قبلة رقيقة على شفتيها فابتعدت عنه قبل أن يعمقها قائلة بمرح:
"لقد نسيت أن أضع الأغنية التي أعددتها لليوم"
ثم ركضت سريعاً على حاسوبها المحمول تضغط على زر التشغيل للأغنية التي عندما استمعت إليها للمرة الأولي فكرت كم تنطبق الكلمات على وضعها هي وبشير وبها ستكن أبلغ رسالة لمخاوفه التي لم يصرح بها..
انطلقت الأنغام ففتح لها بشير ذراعيه لتنضم باستكانة لحضنه وهو يستند بظهره على الأريكة فتكورت بين ذراعيه كقطة تبحث عن الاهتمام والذي وجدته في تربيت يده على ذراعها وهما يستمعان لكلمات الأغنية

هنخاف من مين
هنخاف من مين وأحنا الاتنين
معانا ربنا ومعانا حبنا
وقلوبنا في صفنا
هنخاف من مين وأحنا الاتنين

عايشين مع نفسنا
وف حالنا أنت وأنا
طب أيه هيهمنا

أنا لو تتعب دقيقة
باتعب ياحبيبي ليك
وأما باشوفك في ضيقة
باجي وأهون عليك
وأنا برضة كمان
مش خايفة عشان
م الناس ومن الزمان والدنيا
أنا باتحامي فيك
باغلب خوفي وضعفي
علشان شايفاك في صفي
وقدرت أستغني عن كل الحياة ياحبيبي بيك

أبعدها قليلاً عنه فنظرت بتساؤل له فمد يده لها
في حركة تراها بالأفلام فانطلقت ضحكاتها وهي
تفكر أن بشير قد جن، فليس من عادته التصرف
هكذا وأمام نظراتها الغير مصدقة نهض وانحني
بطوله الفارع مادا لها يده ليمسك بيدها فازدادت
ضحكاتها وهي تقول من بين ضحكاتها
"هل جننت؟"
"بعض ماعندكم"قال ضاحكا ثم أكمل متقمصا
شخصية أمير
"أتسمح لي أميرتي بهذه الرقصة؟"
مدت له يدها وهي تقول مازحة:
"الأغنية ليست كلاسيكية يا مجنون"
ضمها لحضنه وأخذ يراقصها وهو يقول:
"وهل هذا يهم؟"
"بالطبع"

تصميم : فاتن طارق

هز رأسه بنفي قائلاً وشفتيه تقبل وجنتها بتوق:
"مايهم هو أنني سأضمك بين ذراعاي وأقبل
وجنتيك مثلما أريد وبين حين وأخر سأتذوق شهد
شفتيك"

استسلمت لأحضانه وهي تلف ذراعيها حول عنقه
تضم نفسها بشدة اليه مستمتعة بالأمان والدفء
الذي تجده بصدره مرددة بهمس:

ساعات بتكون أبويا لما باكون بين أيديك
وساعات بتكون أخويا وأنا عنك بأحكي ليك
وأنا برضة كمان
مش خايفة عشان
م الناس ومن الزمان والدنيا
أنا باتحامي فيك
باغلب خوفي وضعفي
علشان شايفاك في صفي

وقدرت أستغني عن كل الحياة ياحبيبي بيك

تصميم : فاتن فاروق

يتبض قلبك أحيا

جرجر ساقيه بإحباط رغم انه علم بداخله نتيجة موعده مع الطبيب اليوم إلا انه كان أحمق كفاية ليتمسك بوهم انه يوجد أمل لحالته، وهم زرعه صديقه سامر به وهو يخبره عن طبيب صنع المعجزات وعالج العديد من حالات العقم لدي الرجال، فاستسلم للأمل يداعبه بل انه تخيل للحظات طفلة أو طفل صغير من صلبه ينجبه.. وها قد تحطمت جميع أوهامه على صخرة الواقع فذلك الطبيب أكد له ما سبق أن عرفه على يد غيره من الأطباء الذين زارهم، لقد أخبره بوضوح انه لا يستطيع الإنجاب وأن من هم في مثل حالته من الأفضل لهم أن يفقدوا الأمل ويقنعوا بالمقسوم..

وقد قنع ورضي وحمد الله على جميع عطاياه ورغم إيمانه بالقضاء والقدر إلا أن بقلبه ألم قوي،

ناجم عن كبرياؤه المنحور وهو يخسر جميع فرصه بالإنجاب، ألم مهلك ناشئ عن عدم قدرته أن يكن رجل كامل، ليت كان بإمكانه الصراخ أو البكاء بحضن أروى إلا انه عليه البقاء صامداً كاظماً لقهره بقلبه، فلن يحمل أروى أكثر مما تحتمل، من الجيد انه لم يبلغها عن ذهابه لذاك الطبيب الجديد فكانت ستصاب هي الأخرى بخيبة أمل جراء أمل واهي لا أساس له..

تربيته على كتفه نبهته فنظر لوجه سامر الواجم بتساؤل فقال سامر بأسف:

"أسف بشير.. لقد منحتك أمل وبعدها خذلتك"

لم يطاوعه وجهه على الابتسام إلا انه قال بعمليه:

"ليس ذنبك سامر.. ليست المرة الأولي التي استمع بها لنفس الكلام"

"ولكنني جعلتك تأمل خيراً بعد ما سمعته عن هذا الطبيب"قال سامر بندم

"لا تثقل على نفسك"قال بشير بتعاطف ثم أكمل بإمتنان"لقد رغبت بمساعدتي ثم يكفي قدومك معي"

"أقل من الواجب بشير.. نحن إخوة"قال سامر بمحبة ثم تابع بشفقة"لا تبتئس وتصدق حديث الطبيب فأنا مؤمن انه طالما نحيا سيظل هناك أمل، قد لا يكون الطب اكتشف علاج لحالتك حتى الآن"

قاطع حديثه ضحكة بشير الخاوية من أي آثر للمرح ثم قال متهكماً:

"سامر لا تضحك على نفسك وعليّ.. لقد كان الطبيب واضحاً انه في حالتي لا يوجد أمل"

نظر إليه سامر بشفقة ثم قال باستنكار مصطنع:

"ألا تصدقني دائماً هناك أمل وإلا كيف نحيا، فأنا

مثلاً أحيا على أمل أن أعود ذات يوم للبيت فأجد أم منير تستقبلني بابتسامة لا بقائمة طلبات لا نهاية لها"

ضحك بشير على حديثه متناسياً مصيبته فقال سامر بتأييد:

"اضحك صديقي وانسي كل شيء فالحياة قصيرة على الحزن، فلو استسلمنا لأحزاننا لمتنا كمداً"ثم أردف بمزح"صدقني أنت لديك نعمة لا تعوض.. نعمة الهدوء.. أنت لا تعلم معني أن يتحدث ثلاثة أشخاص في وقت واحد فتشعر أنك تريد أن تشنق نفسك أرحم"

هز بشير رأسه بمعني لا فائدة من صديقه وتفكيره الغريب ثم قال بود:

"حفظهم الله لك سامر.. كم مرة قلت لك توقف عن ترديد مثل هذا الكلام السخيف!"

"حسناً لا تغضب.. ما رأيك أن نذهب لمقهى ونشرب كوب شاي؟"تساءل سامر مهادناً

"لا بأس"تمتم بشير وهو يتوجه مع صديقه لأقرب مقهي، فهو بحاجة للبقاء مع سامر بعض الوقت حتى يستطيع أن يعود لطبيعته فلا تشعر أروى بتغيره وألمه.. فيكفيها الألم الذي تعاني منه جراء الصراع الذي تجعلها والدتها تخوضه، انه يشعر بها واقعة بين شقي الرحي وهو عاجز عن مساعدتها فلذلك أقل شيء يقدمه لها ألا يثقل عليها ويتحمل ألمه بصمت..

"هل يجب أن أهاتفك وأدعوكِ لزيارتي حتى تأتي وتري أمك؟"

صمتت أروى وهي تستمع إلى عتاب والدتها الذي لا ينتهي والذي تتعمد أن تضعه في صيغة تهويل لا تتناسب مع بساطة الموقف، فلقد زارتها بالفعل من يومين فالأمر لا يستحق كل هذا العتاب، أسبلت أهدابها وهي تعترف بضمير معذب أنها أصبحت زيارة ثقيلة لقلبها ليس لأنها لا تشتاق لوالدتها بل على العكس لو رأتها كل دقيقة من يومها ستظل تشتاق إليها إلا أنها أصبحت تشعر بثقل الزيارة بسبب التعذيب الذي تخضع له كلما رأت والدتها، فوالدتها لا تنفك تذكر بشير بالسوء بل وتخبرها أن تضحيتها ببقائها معه هي محض غباء منها، فتلح على عقلها بالقول أن من حقها البحث عن سعادتها ومحاولة الإنجاب بعيداً عن

بشير، فلو كان هو بمكانها لفعل المثل فهو لن يوهب حياته لها كما تفعل هي الحمقاء..
لقد حاولت مراراً أن تفهمها أن لا سعادة لها بعيداً عن بشير فهي إذا ابتعدت عنه كأنها بذلك تنزع الحياة من قلبها فتعود والدتها وتخبرها أنها حمقاء غبية تضيع حياتها من أجل وهم كبير يسمي الحب!
رباه لقد تعبت ولم تعد تتحمل كل ذلك الضغط على أعصابها إلا أن والدتها لا ترحمها بل مازالت تجلدها بسياطها دون شفقة وها هي قد بدأت أسطوانة كلماتها المعتادة.
"لقد غيرك ذلك البشير حتى لم تعودِ تستمعي إلى ما أقوله لكِ"
تأففت أروى وهي تقول بضجر:
"ماذا فعل بشير لكِ الآن أمي؟"

"بل قولي ماذا لم يفعل لي؟ انه يقسي قلبك عليّ"قالت رحمة بلوم
"أمي أنتِ تعلمين أن ما تقولين غير صحيح، بشير لا يفعل شيء من هذا بل انه لا يوجد أطيب من قلبه"قالت أروى سائمة
صاحت رحمة حانقة وهي تقول:
"انظري.. انظري لنفسك تجادليني وتدافعين عنه ولا تهتمين برأيي"
تنهدت أروى بضيق وهي ترفع عينيها لوالدتها برجاء أن ترحمها قائلة:
"أهتم برأيك أمي ولكن بالطبع سأدافع عن زوجي خاصة انه لم يفعل شيء"صمتت لثواني ثم استجمعت شجاعتها معبرة عن ثورة قلبها"علي العكس هو يتقبل معاملتك القاسية له دون تذمر دون أن يكون له ذنب حقيقي، لِمَا تفعلين هذا

أمي؟ لِمَا؟"

"لأنه أناني لا يحب سوى نفسه"قالت رحمة بإشمئزاز

"بشير أناني"رددت أروى ذاهلة وعينيها متسعتين بعدم تصديق

فقالت رحمة ثائرة:

"لو لم يكن أناني لأطلق سراحك، لم يكن ليربطك جواره ويحرمك من حقك الطبيعي بالإنجاب"

هزت أروى رأسها نافية باعتراض:

"هذا غير صحيح.. لقد عرض على أكثر من مرة أن يتركني رغم حبه الشديد لي ولكنني أرفض.. أنا التي ترفض أمي.. فأنا أحبه.. أحبه"

"حمقاء.. غبية وهو يستغل غبائك بمهارة"قالت رحمة باستخفاف ثم أضافت بسخط"يوهمك انه يريد أن يتركك لتتمسكي به أكثر شاعرة بالذنب لتركه، لقد عرف المحتال كيف يعزف على أوتار قلبك"

"أمي"صاحت أروى وهي تهب من مقعدها قائلة بضيق"بشير ليس بمحتال وهو لا يحتاج أن يلف ويدور هكذا ليقنعني بالبقاء فأنا من الأساس قررت أن أكمل حياتي معه"

"ألم أقل انكِ حمقاء؟ علام تتمسكين به بهذا الشكل المثير للشفقة؟"قالت رحمة ناهرة

"وهل أكون مثيرة للشفقة أمي من وجهة نظرك حينما أتمسك بزوجي الذي يحبني وأحبه؟! إذاً أنا مثيرة للشفقة ولكن لن أترك بشير إلا بموتي"قالت أروى بحدة وصدرها يعلو ويهبط من شدة انفعالها

"كل هذا الحب الذي تتشدقين به سيمحي من قلبك تماماً حين تحملين بين ذراعيك طفلاً يحمل

تصميم : فاتن طارق

دمك، حينها ستتنسين انه مر بحياتك قبلاً رجلا يُدعي بشير"قالت رحمة بحزم

طالعت أروى والدتها بوجه أسود كمداً قائلة:

"عن أي طفل تتحدثين أمي؟! أنا لن أترك بشير"

وقفت رحمة مقابلة لها وعينيها تلمعان إصراراً وتصميماً قائلة بحسم:

"بل ستتركينه إذا أردتِ أن تبقي ابنتي حبيبتي، غير هذا لا أريد أن أعرفك"

تساقطت دموع أروى حتى تشوش مجال رؤيتها غير مصدقة أنها هانت على والدتها هكذا لتنطق بتلك الكلمات التي طعنت قلبها في الصميم قائلة بصوت هامس متحشرج:

"لا أصدق أنكِ تخيريني بينك وبين زوجي"

لانت نظرات رحمة للحظة ولاح بهما قبس صغير من الإشفاق إلا أنها عادت قست نظراتها مجدداً وهي تقول بقسوة:

"طالما لا تدركين مصلحتك"ثم أردفت بحزم"لقد تركت لكِ وقت كافي لتعيدي التفكير بحياتك وتكتشفي خطأك بنفسك ولكنك متمسكة به وأنا لن أقف مكتوفة الأيدي أشاهدك وأنتِ تضيعين حياتك في وهم لذلك اختاري أما والدتك أو ذاك البشير"

"أنتِ تريدين أن أقتل قلبي بيدي حتى تسعدي؟"قالت أروى باستنكار ودموعها تشاركها بؤسها

"وأنتِ تذبحين قلبي وأنا أراكِ وحيدة وسط أشقائك، وكل منهم معه طفل واثنين وأنتِ وحيدة يسرقك قطار العمر دون أن تشعرين"قالت رحمة بآسي

"ولكني سعيدة.. سعيدة مع بشير"صاحت أروى

بألم

لوت رحمة شفتيها وهي تقول ممتعضة:

"سعادة مؤقتة ستزول بعد بضعة سنوات ولن يفيدك الندم حينها"

"لن تزول"قالت أروى بإصرار من بين شهقاتها التي تحمل ألمها

أشاحت رحمة بوجهها عن منظر ابنتها الباكية الذي يؤلمها وقالت بعناد:

"لقد خيرتك وأنتِ حرة وقراري نهائي فلا تتعبي نفسك بالجدال"

"أنا لن افترق عن بشير.. لن أستطيع"تمتمت أروى لنفسها تحادثها بعدم تصديق أنها وضعت بهذا الموقف

التفتت إليها رحمة بغل قائلة بصوت عالي:

"وتستطيعين أن تفترقي عن والدتك.. إذن هيا أمامك الباب اخرجي ولا تعودي إلا عندما تنفذي طلبي.. وانسي حتى ذلك الحين أن لكِ أم"

ازداد انهمار الدموع من عيني أروى وهي تتمتم برجاء أن تتفهمها والدتها:

"أمي.. أمي"

"ليس لكِ هنا أم حتى تطيعينها وإلا فقلبي سيظل غاضب عليكِ يا أروى ليوم الدين"قالت رحمة بجمود

"أمي"صاحت أروى باستعطاف لم يجد له أذان مصغية ورحمة تكمل:

"هيا اخرجي من هنا وعودي لزوجك الذي تفضلينه على والدتك التي أنفقت عمرها عليكِ لتربيكِ"

هزت أروى رأسها نافية وهي تقول من بين دموعها:

"هذا غير صحيح.. أنا لا أفضله عليكِ"

"قلت لكِ اخرجي ولا تعودي لهذا البيت حتى تعرفين قيمة أمك.. هيا أخرجي" صرخت رحمة بقسوة جعلت أروى تنتفض وتجذب حقيبتها وترحل هاربة من موقف مرير لم تتخيل يوماً أن تخضع له..

وصلت لشقتها وهي لا تعلم كيف فعلتها، وكيف رأت الطريق من خلال دموعها التي لم تتوقف للحظة عن الانهمار؟ ربما كانت القوة الكامنة بداخلها هي التي دفعتها لان تكمل طريقها رغم كل الآلام التي تحملها بقلبها أو هو عقلها الباطن الذي علم بحاجتها للارتماء على فراشها وسكب دموعها بحرية عليه!!

كل ما تعرفه أنها ألقت بجسدها على فراشها دون أن تكلف نفسها عناء تغيير ثيابها متخذة من وضعية الجنين وضعاً لنومها تاركة العنان لدموعها وشهقاتها التي لم تتوقف بل أنها ظلت تتأوه بصوت عالي وقد عجز قلبها عن احتمال الألم بداخله، وعقلها يتساءل طيلة الوقت كيف يهون على قلب والدتها أن تحرق قلبها بهذا الشكل مدعية أنها تفعل الصالح لأجلها؟! أي صالح وهي تخيرها بين نصفي قلبها؟ بين أن تميت النصف الذي يسكن حب بشير به وبين أن تميت الجزء الذي يسكن حب والدتها به؟

فأي الجزأين تميت؟ أن كلا الخيارين مر لا تحتمله، ولكنها لا تستطيع أن تسلخ روحها بعيداً عن بشير فكيف تحيا بدونه أنه ساكن بنبض قلبها، فكل نفس يخرج من رئتيها باسمه!

استمرت بآهاتها تخرج وجع قلبها، فلم تشعر بالوقت الذي مر عليها وهي على نفس وضعها

الفصل الخامس

غارقة في ألمها، كل ما شعرت به هو صوتها الذي بح من تأوهاتها وخفتت حدته رغماً عنها لتعبها..

استمعت لصوت بشير بالخارج ينادي عليها فودت لو صرخت تخبره أنها بغرفتهم تحتاج إلى حضنه الدافئ إلا أن صوتها أبي أن يخرج وكأنها بخروج تأوهاتها رحلت معها طاقتها على الإتيان بأي فعل!

دلف بشير لغرفة نومهم وعينيه مندهشة للظلام الغارقة به الغرفة فنادي بقلق على أروى، فأروى أكثر ما تكرهه هو الظلام.

"أروى.. أروى"

انتابه الهلع وهو يري أمامه أروى منكمشة على نفسها فاقترب بخطوات واسعة صارخاً بخوف :

"أروى.. حبيبتي هل أنتِ بخير؟"

رفع رأسها من على الفراش فاحرق قلبه الدموع التي تغرق وجهها فهتف بجزع:

"ماذا هناك حبيبتي؟ ما الذي حدث؟"

كلمة واحدة متحشرجة خرجت من فمها بصوت مبحوح:

"ضمني"

اعتصرها على صدره وكأنه يعطيها الإذن للانخراط مجددا بالبكاء، فدخلت بنوبة بكاء شديدة، تركها

بشير تبكي على صدره مثلما ترغب رغم أن قلبه وعقله كانا يشتعلان بنيران تحرقهما، فبكاء أروى من أقسي الأشياء على قلبه انه لا يتحمل سقوط بضعة دمعات من عينيها فماذا يفعل بأنهار منهمرة دون توقف؟ لقد كانت دموعها نقطة ضعفه فبسببها اكتشف مصيبته، فقلبه لم يحتمل إغضابها وبكائها عندما رفض بداية الذهاب لطبيب للتعرف على سبب تأخرهم في الإنجاب فاضطر للاستسلام تحت وطأة ضغط دموعها للذهاب ومن بعدها اكتشف ابتلاؤه..

ضمها بشدة لحضنه ممسداً خصلاتها محاولاً إيقاف دموعها عن طريق لمساته فأي كلمة سينطقها الآن لن تغير شيء، فأروى بحالة انهيار، ولكن يبقي السؤال ما الذي أوصلها لهذه الحالة؟

لقد تركها صباحاً بخير وودعته بابتسامتها المعتادة

وحتي عندما حادثته وهو بعمله لتخبره أنها ستذهب لبعض الوقت لوالدتها، كان صوتها صافي ومبتسم.. هل والدتها هي التي أزعجتها؟ ولكن ما الذي قد تقوله لها والدتها ويوصلها لهذه الحالة من الإنهيار؟ انه يعلم بحجم المضايقات التي تتعرض إليها من والدتها حتى وإن لم تخبره واكتفت برسم ابتسامة غير حقيقية على شفتيها عند عودتها من منزل والديها، إلا أن معاملة والدتها له تخبره أنها أصبحت ضائقة بزواجهم وتتمني التخلص منه..

تنهد بحيرة وهو ينظر لرأسها الملقي على صدره وقد بدأت شهقاتها تهدأ رويداً مفكرا أن كل ذلك قديم فما الذي جد الآن وأوصل حبيبته لهذه الحالة؟ هل قررت الرضوخ أخيرا لطلب والدتها غير المعلن ولذلك تبكي بحرقة فراقه؟؟

تصميم : فاتن طارق

تجهمت ملامحه وهو يهز رأسه فأروى لن تفعلها، لا لن تتركه فهي تعشقه كما يعشقها لذلك لن تتحمل أو تفكر حتى بفراقه..

أبعدها عن صدره قليلاً ليسألها وقد عصفت الأفكار برأسه:

"ما الذي يؤلمك يا قلب بشير؟"

عاودت دموعها الانهمار وهي تخفض رأسها لتسنده على صدره فأمسك بشير ذقنها وهو يقول بلوعة:

"أخبريني حبيبتي ماذا بكِ؟ قلبي سيتوقف من شدة خوفي عليكِ"

عضت شفتها ثم أجبرت لسانها على النطق بتلعثم تلك الكلمات التي ذبحت قلبها:

"أمي.. طردتني.. من منزل.. أبي"ثم انخرطت بنوبة بكاء أخري ملقية رأسها على قلبه

"ماذا؟"همس بشير بذهول غير مصدق لما استمع إليه فالسيدة رحمة مستحيل أن تطرد أروى من منزل أبيها فهي تعشق أروى بل أن أروى هي أقرب أبنائها لقلبها فهي صغيرتها المدللة، لم يسمح لأروى هذه المرة باستكمال بكائها وهو يبعدها عنه متسائلا بحيرة:

"لِمَا؟"

أشاحت أروى بوجهها هاربة من نظراته التي تلاحقها إلا انه أعاد وجهها إليه لتتلاقي نظراتهم فعاود التساؤل مجدداً بصرامة:

"لِمَا؟"

لم تستطع أروى التهرب وهي تتطلع بعيني بشير فقالت هامسة بصوت مبحوح:

"لقد خيرتني بين أن أبتعد عنك أو أن أبتعد عنها"

فغر فاهه ليستطيع التنفس فبعد أن استمع إلى

تصميم : فاتن طارق

كلمات أروى شعر انه عاجز عن التنفس ثم قال وصدره يعلو ويهبط بأنفاس متلاحقة يحاول إدخالها لرئتيه ليتنفس:

"واخترتني!"

لم يكن سؤال بقدر ما هو تقرير للواقع، واقع مؤلم لا يصدقه، فلا يصدق انه عقيم لا يستطيع الإنجاب ولا يستطيع تصديق أن حماته تلك المرأة _التي طالما تشدقت انه بمثابة ابن لها بل أنها أخبرته أنها تحبه أكثر من فادي _ أصبحت تكرهه وتريد أن تبعده عن أروى؟ كيف غيرتها الأيام لتتحول لتلك المرأة التي تحاول أن تفرقه عن زوجته حبيبته؟

رمقته أروى بنظرة معاتبة لسؤاله قائلة بألم:

"بالطبع سأختارك بشير.. ليس لأنك زوجي حبيبي الذي أعشقه ولكن كيف أقبل أن أعصي الله وأتطلق منك دون سبب؟ فقط لان والدتي تريد

ذلك!"

"ليس بدون سبب فأنا عقيم أروى، والدتك محقة بخوفها عليكِ"قال وكأنه يردد كلمات حفظها من كثرة ما كررها عليه عقله ليجعله يتحمل تلك المعاملة القاسية التي يتلقاها من والدة أروى منذ علمت بعقمه

وضعت أروى أصابعها على شفتيه تمنعه من استكمال حديثه الذي يمزق قلبها أكثر قائلة بغضب فخرج صوتها حاداً:

"لا تعيد مجدداً تلك الكلمات.. والدتي لا تفهم أن لا حياة لي بدونك فأنت روحي وقلبي بشير"

ثم طوقت عنقه بذراعيها بقوه مردفه وهي تستنشق رائحته:

"لا أستطيع أن أحيا بدونك"

"ولا أنا أستطيع"همس بخفوت وهو يضمها من

تصميم : فاتن طارق

خصرها إليه أكثر متمنياً لو كان بإمكانه البكاء مثلما فعلت أروى، أن يبكي على كبرياؤه المهدور وعجزه أن يمنح زوجته طفل لطالما تمنته، ياليته بإمكانه البكاء مثل طفل صغير مخرجاً كل ألمه إلا انه لن يستطيع فعليه التمسك بقشرة القوة التي تغلفه، لا لن يسمح لنفسه بالسقوط بهوة الضعف فيسقط من عيني أروى..

حررته من تطويقها وهي تقول بلهفة تريده أن يؤكد أمنياتها وعينيها لا تكفان عن ذرف الدموع:

"ستندم أمي بعد فترة على طلبها الغبي هذا وستحدثني مرة أخري، أليس كذلك بشير؟"

"بلي"أكد بشير بخواء ثم قال بتساؤل"هل أخبرتك أنها لن تحدثك مجدداً إذا لم نبتعد عن بعض؟"

أومأت أروى برأسها بتخاذل ثم قالت تطمئن نفسها:

"أنا أكيدة أنها ستهدئ وتستوعب أن ما تطلبه مني ليس من حقها، أنها تنفعل سريعاً ولكنها طيبة القلب"

"وعنيدة"همسها بشير لنفسه غير قادر علي إخبارها فمن معرفته لوالدة أروى يدرك أنها لا تستسلم ولا تقبل بالتنازل عن رأيها، زفر محبطاً مثقلاً بالهم إلا انه تحامل على نفسه قائلاً لأروى:

"هل تناولتِ الطعام؟"

أسبلت أروى أهدابها بخجل متمتمة وهي تمسح دموعها:

"لم أعد الطعام"

ربت على كتفها بتفهم قائلاً:

"لا تهتمي، سأعد شيء سريع لنا"

"لا أريد بشير ليس لدي قابلية لتناول الطعام"قالت أروى برفض وهي تستند برأسها

تصميم : فاتن طارق

على ذراعيها المرتكزتين على ركبتيها.

نظر لوجهها الشاحب بألم فقال بمهادنة:

"تعلمين أنني لا أستطيع أن أتناول طعامي دونك وفي الحقيقة أنا جائع بشدة"

رفعت رأسها بإشفاق قائلة وهي تحاول النهوض:

"ارتاح وسأعد لك ما تتناوله"

"بل ارتاحي أنتِ وسأعد أنا الطعام"رفض بشير بإصرار ثم نهض متجهاً للمطبخ كاتماً حسرته بقلبه، تحرك بألية للبراد يفتحه ليري ما بداخله، اخرج كيس دجاج ثم بدأ يطهوه وعقله شارد فيما سمعه من أروى، انه لم يعد يحرمها فقط من الإنجاب بل أصبح يحرمها من عائلتها الوحيدة التي تحبها "والدتها"

انه لا يستطيع أن يلوم والدة أروى فهي بالنهاية تبحث عن صالح ابنتها حتى وإن كان هذا الصالح

يقتله حياً، تأوه وقد قطعت السكينة إصبعه وهو شارد بالتفكير، فتح صنبور المياه سريعاً ليغسل جرحه ثم ذهب للحمام ليضع شريط لاصق على الجرح لإيقاف نزيفه، ثم عاد مجدداً للمطبخ لاستكمال طهو الدجاج الذي يعده لأروى.

رسم ابتسامة على شفتيه وهو يحمل الصينية التي عليها الطعام الذي أعده متوجها لحجرتهم، اعتدلت أروى عندما رأته قائلة وهي تنظر في الصينية التي وضعها بالقرب منها:

"لقد أتعبت نفسك"

"كل يوم تعدين لي الطعام بدون ملل أو شكوى ولأجل يوم أعد لكِ الطعام به، أكن تعبت نفسي؟"قال بشير بعتاب

فابتسمت بحب وهي تقول:

"لا حرمني الله منك حبيبي"

تصميم : فاتن طارق

"ولا منك روحي"قال بشير بصدق ثم أمرها برفق"هيا تناولي الطعام حتى لا يبرد"

شرعت بتناول الطعام بلا شهية حقيقية رغم كونه لذيذ، ففكرها المنشغل بوالدتها لم يدع لها مجال للاستمتاع بشيء، بعد فترة من الصمت والتي سادت تناولهم الطعام رفعت عينيها لبشير بشرود فلاحظت الشريط اللاصق على إصبعه فقالت بجزع وهي تمد يدها لتمسك إصبعه بلهفة:

"ماذا حدث؟"

طمئنها بشير بابتسامة وهو يقول:

لا تقلقي.. مجرد جرح صغير"

رفعت إصبعه لفمها تقبله وهي تتمتم بحزن:

"أنا السبب"

"لا تقولي ذلك"نهرها بشير قبل أن تمر بجسده رعشة جراء تقبيلها لأصبعه المصاب، ازدرد ريقه

بصعوبة وهو يراها تقبل أصابعه المجاورة ثم امتدت قبلاتها لتشمل راحة يده وهي تقول:

"يا ليتني كنت أنا.. سلامتك حبيبي"

نهرها بصوت متأثر:

"بعد الشر عنك.. لا تقولي هذا مرة أخري"ثم أضاف محاولا المزاح رغم انه بقلبه لا يتمني سوى أن ينصاع لرغبة قلبه وجسده ويقربها منه ويتنعم بحضنها مؤكداً لنفسه أنها مازالت معه ولن تفارقه:

"إذا استمررتِ بقبلاتك تلك أخشي أن تصبحي أنتِ غدائي"

رفعت عينيها نحوه ويدها مازالت محتفظة بيده قائلة بعشق:

"ليس لدي مانع"

"أروى"همس بتفاجئ

تصميم : فاتن طارق

فوضعت إصبعها على فمه هامسة بعينين متلألأتين بعشق خالص:

"أحبك"

ثم استبدلت إصبعها بفمها مودعة قبلتها كل مشاعرها، كانت تشتكي بقبلتها له من الألم الذي يعانيه قلبها الممزق، تخلص من دهشته ثم تولي الاستيلاء على شفتيها بتوق مخبراً إياها دون كلمات انه يشعر بها، وبكل ما تمر به من حزن وانه يشاركها هذه الأوجاع كما تشاركه روحه، أبعد بيده الصينية من الفراش دون أن يفترق عنها ثم جذبها إليه يدمجها بروحه متناسيين في جنتهم تلك القوي التي تحاول تحطيم حبهم!

بتبض قلبك أحيا

ألقت أروى هاتفها من يدها بعنف والدموع تهبط بغزارة من عينيها، أنها ستجن من التفكير كيف تتصرف مع والدتها، والدتها التي ترفض محادثتها كلما حاولت وتغلق الهاتف في وجهها وكأنها تتلذذ برفضها لها..

لقد انتظرت بضعة أيام تمنح خلالها الفرصة لوالدتها لتهدئ وتعيد التفكير بما قررته ولكن يبدو أن الأيام تزيد والدتها إصرارا وليس العكس..

وضعت يدها على قلبها الموجوع شاعرة بنغزة ترافقها في صدرها كلما تضايقت، لقد أخبرها الطبيب أنها لا تعاني من مشاكل بالقلب ولكنها مجرد حالة نفسية تعبر عن نفسها بتلك النغزة وكأن قلبها يصرخ ويعلن انه يحتمل أكثر من طاقته..

"لِمَا أمي تحمليني فوق طاقتي؟"تساءلت بقهر

ودموعها تشاركها وجعها، فوالدتها تستغل نقطة ضعفها بقسوة فهي تدرك أن أروى متعلقة بها بشدة بعد وفاة والدها وأنها لن تحتمل فراقها لذلك تلعب بظلم وهي تحرمها من أمومتها في سبيل أن تتخلي عن بشير..

مدت يدها مجدداً نحو هاتفها تفتحه لتري صورة والدتها فهي لم تعتاد على عدم رؤيتها لأيام فخاطبتها بحزن وهي تشاهد صورتها:

"يا لقسوة قلبك يا أمي؟ لقد اشتقتك.. ألا تشتاقين أنتِ الأخرى لصغيرتك؟ لِمَا تعاقبيني على ذنب باركتيه أنتِ؟ ألم ترددي طيلة معرفتي ببشير إنني محظوظة به وبحبه؟ أنسيتِ كل شيء لمجرد انه أصبح مبتلي بألا ينجب؟ أهذا جزاءه لحنانه عليكِ وأعتبارك والدته؟ انه لم يزعجك بكلمة طيلة معرفتك به بل كان يتفنن بإرضائك، ألا يشفع كل ذلك له ويوقف عدائك غير المبرر له؟؟ لا أريد أطفال.. لا أريد شيء.. فقط أنتِ وبشير حياتي فلمَ تريدين أن تحرميني من سعادتي؟؟لِمَا؟؟"

انهمرت أنهار من الدموع من عينيها وهي تشهق بعنف متذكرة حديثها مع خالها منذ بضعة دقائق، لقد وسطته منذ بضعة أيام لتنال العفو من والدتها بعد أن طردتها مجدداً من منزل والدها وكانت قد قررت الذهاب إليها لمراضاتها إلا أن والدتها رفضت تماماً السماح لها بالبقاء بمنزل والدها بعد أن أعلنت بوضوح أنها متمسكة ببشير، فقررت اللجوء لخالها لعله يستطيع مساعدتها.. ولكن خالها أعلمها منذ لحظات بفشل مسعاه وان والدتها مصممة على مقاطعتها إذا استمرت مع بشير.

"والدتك عنيدة أروى لقد حاولت إخبارها أن ما

تصميم : فاتن طارق

تفعله لا يجوز فهذه حياتك ولكنها مصممة على رأيها"

مسحت دموعها المنهمرة بعنف تفكر بحل ولا تعلم لما خطر على عقلها أسماء شقيقتها رغم أن علاقتهم ليست قوية فأسماء منذ زواجها وسكنها بالإسكندرية وهي لا تهتم سوى بزوجها وأبنائها مكرسة حياتها لعائلتها، ولكنها تبقي بالنهاية شقيقتها وعليها مساندتها وإقناع والدتها بالعفو عنها.

طلبت رقم أسماء ثم انتظرت بلهفة إجابتها إلا أن لهفتها خبت وجرس الاتصال ينتهي دون رد

فأعادت المحاولة مجدداً وبعد طول انتظار أتاها أخيراً صوت شقيقتها الفاتر:

"مرحباً أروى"

"مرحباً أسماء.. كيف حالك وحال الفتيات وفضل

زوجك؟"

"جميعنا بخير.. كيف حالك أنتِ وبشير؟"سألت أسماء بخمول

"بخير"أجابت أروى ثم صمتت لثواني تحاول استجماع شجاعتها لتقول ما لديها فاستحثتها أسماء:

"خير أروى.. أشعر أن هناك ما ترغبين بقوله"

"في الحقيقة أسماء، كنت أريد مساعدتك"قالت أروى مضطربة

"فيمَا؟"سألت أسماء بدهشة

عضت أروى شفتها تستقوي بها على ضعفها ثم حسمت أمرها قائلة:

"أنتِ تعلمين انه منذ فترة اكتشفنا أن بشير غير قادر على الإنجاب وقد رضينا وحمدنا الله على عطاؤه إلا أن أمي تغيرت معاملتها لبشير وأصبحت

تنزعج منه بشدة وتقنعني بألا أكمل معه حياتي حتى وصل بها الأمر لان تقاطعتني في سبيل أن ابتعد عنه"

"نعم أعلم"قالت أسماء بلامبالاة

"تعلمين؟"رددت أروى بذهول ثم قالت بحنق من شقيقتها التي لم تحاول الاتصال بها أو الاطمئنان عليها بعد أن علمت بخلافها مع والدتها"تعلمين ولم تحاولي أن تجعليها تعدل عن رأيها؟"

"إذا لم تستطيعي أنتِ أقرب أبنائها إليها إقناعها برأيك فهل سأنجح أنا؟"قالت أسماء متهكمة ثم أردفت بعملية"ثم أن وجهة نظر والدتنا صحيحة"

"صحيحة؟ تريدني أن أتخلي عن زوجي الذي أحبه ويحبني!! دون سبب وتقولي أن وجهة نظرها صحيحة بل هي وجهة نظر متعنتة قاسية"صاحت أروى منفعلة وبداخلها يغلي من كلمات شقيقتها التي فكرت أنها ستساعدها

"دون إنفعال يا أروى"قالت أسماء بصرامة وكأنها تخاطب إحدى ابنتيها ثم أضافت بجدية"أنتِ تضحين بحياتك مع بشير بهذا الشكل، الأطفال نعمة أروى، ستندمين على التضحية بها عندما تتقدم بكِ السنوات"

لا، لن تستمع لتلك الكلمات التي حفظتها من فم والدتها.. لا، فهي لم تتصل لتسمع ذلك، لقد هاتفت شقيقتها لتقف بجوارها في معركتها مع والدتها ولكن يبدو أنها ستواجه الأمر بمفردها فشقيقتها لا تشعر بها أو بما تعانيه فقالت فجأة:

"هل أنتِ سعيدة بحياتك أسماء؟"

صمت عم الهاتف للحظات ثم قالت أسماء بصوت متفاجئ:

"الحمدلله"

إجابة أسماء جعلتها تعيد سؤالها مرة أخري بإصرار:
"هل أنتِ سعيدة بحياتك أسماء؟"
"لقد أجبتك الحمد لله أروى فلمَ تعيدين السؤال؟" قالت أسماء بعصبية طفيفة وقد فقدت هدوئها فهي لم تسأل نفسها من قبل هل هي سعيدة؟ فليس هناك مبرر لذلك السؤال أنها قانعة بحياتها مع زوجها وابنتيها.
"لأنك تراوغين بالإجابة أسماء فالله يحمد بكل حين بالسراء وبالضراء.. ولكني سأعفيكِ من الإجابة طالما تزعجك" قالت أروى بحكمة
"لا تزعجني ولكنني لا أفهم ما سبب هذا التساؤل وما علاقته بما كنا نتناقشه؟" قالت أسماء بضجر
"له كل العلاقة.. لأنني يا أسماء سعيدة في حياتي.. سعيدة مع بشير رغم عدم إنجابنا للأطفال، رغم كل الألم بقلوبنا إلا إنني سعيدة معه.. أستطيع

إعلانها بوضوح وسريعاً دون تفكير.. فبشير كان وسيظل رجل أحلامي والذي وفقني الله بإيجاده.. وبعد كل هذا تريدون مني أن أتركه.. أن أقتل سعادتي بيدي.. لا لن أفعل.. لن أترك زوجي لأجل وهم سراب يسمي الأطفال.. الله أعلم أن كنت سأستطيع إنجابهم من غيره أن تركته ولكن للحق أنا لا أريدهم إذا لم يكن بشير والدهم، فأنا لا أريد سوى زوجي" سكتت تلتقط أنفاسها للحظة قبل أن تكمل بأسي
"أسفة أن أزعجتك شقيقتي، لقد كنت أظن انكِ تستطيعين مساعدتي ولكن يبدو إنني كنت واهمة، قبلي الفتيات وأخبريهم أن خالتهم مشتاقة اليهم.. وداعا أسماء"
ثم أغلقت الهاتف دون أن تستمع للرد من الجهة الأخرى ملقية به جانبها بإهمال ودموعها تتساقط

تصميم : فاتن طارق

من عينيها دون مقاومة منها فلقد جرحتها مكالمة شقيقتها وهي التي ظنت أنها ستخفف عنها قليلاً، لقد زادت من ألامها فالجميع يفكر أنها تضحي بحياتها من أجل بشير، لا يفهمون أنها تحافظ على حياتها وسعادتها، فبشير هو كل دنيتها وبعيداً عنه وكأنها تصدر على روحها حكماً بالإعدام..

مسحت عينيها وهي تنهض محاولة بث الروح بجسدها حتى تحضر لبشير طعامه فيكفي تحمله لصمتها بالأيام الماضية ومحاولاته الدائمة التخفيف عنها..

توجهت للحمام أولاً حتى تغسل وجهها وتهدئ النيران المشتعلة بوجنتيها من جراء بكائها المستمر ثم ألقت نظرة على وجهها فابتأست وهي تري أنفها محمر بشكل غير طبيعي ويبدو كأنه كبر بالحجم.

له الله بشير على ما يراه منها لقد أصبحت كئيبة ومزاجية وأيضا بأنف كبير، فكرت بضيق وهي تتوجه للمطبخ مقررة أن تصنع إحدى وجباته التي يحبها لترفه عنه فيكفي أن عليه التعامل مع تقلباتها النفسية وأيضا مع أنفها الكبير!

تصميم : فاتن طارق

بتبض قلبك أحيا

يمسك القلم بيده وعينيه تنظران للأوراق أمامه ولكنه لا يري شيء حقيقة، ففكره يدور في حلقات مفرغة حول أروى وحزنها والذي كان السبب به فلولا استمرارها معه ما قاطعتها والدتها، ولكن هل يتخلي عنها إرضاءاً لوالدتها؟ وماذا يفعل بروحه المتعلقة بها وروحها المتعلقة به؟ انه سيموت أن ابتعد..

ولكنه لا يتحمل أن يكون السبب بحزنها، أن يحرمها من والدتها كما حرمها من الإنجاب، لا هذا كثير على ضميره أن يتحمله، ألا يكفيه عذابه كلما رأي طفلاً فيفكر أن أروى تظلم نفسها بالبقاء معه، ألا يكفيه شعوره بالعجز والقهر؟؟

لتأتي والدتها وتحمله ذنب أخر وتثقل ضميره، لو كانت علاقة أروى بوالدتها علاقة عادية لم يكن ليهتم ولكنه يعلم مقدار تعلق أروى بوالدتها، أنها

تعتبرها كل عائلتها رغم وجود أشقائها، لقد كانت تمرض كلما مرضت والدتها ولا تتوقف عن البكاء حتى تستعيد والدتها صحتها!

والآن والدتها تقاطعها بسببه فتشعر حبيبته أنها ممزقة بين خيارين كليهما صعب ولكنها تختاره، وهي لا تدري ماذا يفعل به اختيارها هذا! فحبها في قلبه تضاعف رغم أنها احتلت كل ذرة من قلبه ومن جسده وروحه حتى لم يعد لديه شيء يعطيها إياه ولم يسبق أن أخذته..

ولكن ماذا يفعل لأجلها ليخفف من حزنها، انه يشعر بها كل ليلة وهي تذرف الدموع بجواره عندما تعتقده غارقا بالنوم ثم تنهض من جواره عندما تعجز عن السيطرة على شهقاتها وتجلس بغرفة المعيشة حتى تنهي وصلة بكائها وكم ود لو أبقاها بجواره واحتضنها ولكنه يعلم أنها لن تترك

العنان لنفسها بل ستؤنبها على إزعاجه، لذلك يتركها تفرغ شحنة حزنها كما تريد وقلبه يتقطع بداخله على ألمها وعجزه..

"بشير.. بشير.. ماذا بك يا رجل؟" سأل سامر بقلق وهو يري صديقه جالس بشرود وكأنه يحمل على أكتافه جبال من الهموم

تطلع بشير لصديقه بحيرة هل يخبره أم يحتفظ بكبريائه ويصمت ولكنه بحاجة للحديث، بحاجة لأن يفضفض قليلاً عن همومه، فهو بالنهاية إنسان يحتاج لكتف يواسيه ويهون عليه ألمه فقال بألم:

"والدة أروى"

وكأنه بمجرد أن قال اسمها قد فسر كل شيء، فسامر يعرف أنها تجافيه وتحاول افتعال المشكلات معه..

فقال سامر بغضب على حال صديقه:

تصميم : فاتن طارق

"ماذا فعلت تلك الحيزبون هذه المرة؟"

اكتفي بشير بتوجيه نظرة ناهرة لسامر على وصفه لحماته فبداخله لم يجد القوة الحقيقية لنهره بجدية فجزء منه راغب بسببها بأقطع السباب على ما تسببه له من جرح لرجولته ومحاولتها التفريق بينه وبين حبيبته وجزء أخر منه يعذرها على ما تفعل فهي لا تريد سوى مصلحة ابنتها، زفر زفرة طويلة ثم قال بأسي:

"تريدني أن افترق عن أروى"

"وما الجديد؟"تساءل سامر بحيرة فمنذ فترة وهو وبشير قد استنتجا رغبة تلك المرأة

رفع بشير عينيه لسامر وهو يردف بصوت فاقد للحياة:

"الجديد أنها أخبرت أروى أن تنسي أن لها أم طالما كانت على ذمتي"

جحظت عيني سامر وهو يلعن دون شعور تلك المرأة:

"تبا لها!.. من تتصور نفسها حتى تحاول التحكم بمصائر البشر"ثم أضاف بغضب"وماذا فعلت زوجتك؟"

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتي بشير وهو يقول:

"اختارتني"

ابتسم سامر وهو يقول مهنئاً:

"زوجتك هذه بنت أصول وامرأة بحق.. هنيئاً لك بها بشير"

هز بشير رأسه موافقاً وهو يردد بألم مغمضاً عينيه:

"نعم هنيئاً لي بها"

اقترب سامر من مكتب بشير ثم وقف بجواره متسائلاً بعدم فهم:

تصميم : فاتن طارق

"لِمَا الحزن أن كانت زوجتك اختارتك؟"

وضع بشير رأسه بين راحتي يديه وهو يقول مهموماً:

"أنت لا تفهم شيء، أروى تعشق والدتها فمنذ توفي والدها وقد أصبحت والدتها كل حياتها، فهل تستطيع أن تتخيل شعورها وهي محرومة من والدتها بسببي"

"أنك تقتلني كمداً يا رجل"صاح سامر بحنق ثم أردف بغيظ"رجل غيرك كان سيسعد أن زوجته اختارته رغم تعلقها الشديد بوالدتها كما تقول.. لكن أنت لا تتحدث عن ذلك وكأنها كارثة"

هز بشير رأسه بيأس قائلاً:

"لن تستطيع أن تفهمني لأنك لست بوضعي.. ألا يكفي عجزي عن منح أروى طفل يرضيها لا بل أحرمها أيضا من والدتها التي تعشقها؟"ثم خفت

صوته وهو يردف همساً"ألا تستطيع تخيل شعوري بالعجز؟"

أسبل أهدابه عاجزاً عن مواجهة نظرات الشفقة في عيني صديقه، انه لم يكن يريد أن يبدو مثيرا للشفقة ولكنه كان بحاجة لمصارحة أحد بألمه

وقبل أن يواسيه سامر استمعوا لصوت بارد يصدح بمكتبهم:

"مرحبا بشير"

رفع بشير وجهه مصدوماً بسماعه صوت حماته فوقف باحترام مرحباً:

"مرحبا.. أمي"

تلكأ لسانه وهو يقولها فللمرة الأولي لا يشعرها صادقة من فمه فكيف تكون والدته وتعايره بذنب ليس ذنبه ثم قال محاولاً رسم ابتسامة على شفتيه:

تصميم : فاتن طارق

"تفضلي"

لم يتغير تعبير وجهها وهي تجيبه بجمود ملقية نظرة ممتعضة على سامر الذي بادلها الإستياء:

"هل نستطيع التحدث بمكان أخر؟"

"بالطبع"أومئ موافقا ثم تحرك من خلف مكتبه موجها حديثه لسامر"استئذن لي بقية اليوم سامر"

أومئ سامر وهو يتابع بعينيه انصراف بشير ووالدة أروى بقلب غير مطمئن على صديقه بينما توجه بشير مصطحباً رحمة لمطعم قريب من الشركة التي يعمل بها وبمجرد أن جلسا حضر النادل فطلب بشير لنفسه فنجان قهوة بينما أصرت رحمة على رفضها تناول شيء وبعد أن انصرف النادل بادرته بالقول:

"هل أخبرتك أروى عما حدث بيننا؟"

اتسعت عيني بشير بدهشة فلم يكن يظن أن حماته ستكاشفه بصراحة وتفاتحه بموضوع خلافهما هي وأروى.

"كاذب بشير"

صرخ عقله يواجهه فلذلك السبب لم يذهب محاولاً الإصلاح بينهما وبين أروى خوفا من أن تجرح كبرياؤه، تنحنح متحشرجا ثم قال بصوت خافت:

"نعم أخبرتني"

رفعت رحمة أحد حاجبيها باستنكار قائلة:

"ولم تفعل شيء"

"وماذا تريدين أن أفعل؟"سأل بشير بغيظ مكتوم

"أن تتركها وتطلقها"قالت رحمة سريعاً ثم أردفت وهي تري وجه بشير المحتقن ويبدو انه يبذل جهده حتى لا يفقد أعصابه

"إذا كنت تحبها ستفعل فالحب تضحية"

تصميم : فاتن طارق

"لمَا أضحي بسعادتي وسعادتها؟ فأنا وأروى نحب بعض ولا نستطيع العيش بدون بعضنا"قال بشير بحرقة

"حب سيذبل بمرور الأيام فأروى عاطفية والآن يثير قلبها الشفقة تجاهك لذلك ترفض التخلي عنك لكن بعد بضعة سنوات عندما تري كل من حولها لديه أطفال ستشعر بالمرارة وسيندثر حبكما تحت جبال من الحزن والوجع"ثم أضافت بجدية"لو كنت تحبها بصدق لن تقبل أن تضحي بحياتها لأجلك، لن تقبل أن تجعلها تحيا العمر وحيدة فكر ماذا إذا حدث لك شيء لا قدر الله ماذا سيكون مصير أروى حينها ستحيى وحيدة دون أن تجد من تستند عليه فأنا لن أدوم لها العمر"

ازدرد بشير ريقه بصعوبة فغصة كبيرة تكونت بحلقه، فكل كلمة نطقتها والدة أروى هي بمثابة سيف تغمده في جرح جديد بجسده حتى انه ظن إذا نهض فلن تستطيع أن تحمله ساقيه من كثرة جراحه، انه يشعر بالنزيف داخله رغم انه لايري نقاط دماء تتساقط منه ثم قال بصوت متألم متحشرج:

"أنتِ تطالبيني بأكثر من طاقتي، فأنا أعشق أروى، هي كل حياتي"

"بل أطالبك بما يقتضيه عليك الواجب، أن تحرر ابنتي من قفصك الذهبي فمن حقها أن تكون أم فليس ذنبها..."

صمتت رحمة وقد تركت جملتها معلقة فقال بشير بعنف حاول إخفاؤه:

"وليس ذنبي إنني عقيم"

عضت رحمة شفتها بشفقة ثم قالت بتعاطف:

"لا تظن أنني لا أقدر وضعك بالعكس أنني حزينة

عليك فأنت تعلم كم أحبك ولكنني في النهاية أم أريد لابنتي أن تحيا سعيدة"

دق على الطاولة بدقات رتيبة ثم جادلها بقهر مقاوما رغبته بتحطيم كل ما حوله:

"أروى سعيدة معي"

"سعادة مؤقتة ستزول بعد بضعة سنوات"ردت رحمة بحده ثم أردفت بمواساة"لاتظن اني سعيدة بما أقوله، صدقني أنا أتألم لما آل إليه وضعكما ولكنني مضطرة أن أقوله"

شاهدت رحمة الابتسامة المريرة التي ارتسمت على شفتي بشير فأوجعها قلبها عليه فلم تكن تتمني أن تحدث تلك المواجهة بيوم ولكنها حكمة القدر، لم تتحمل الصمت الذي أعقب كلماتها فنهضت وهي تتابع بحسم:

"سأتركك لضميرك ولكن تذكر أن الحب تضحية وأنت أناني تحرم أروى من كل شيء، من الأطفال ومني أنا والدتها، فأنا لن أتراجع عن موقفي"

شاهد انصراف حماته بأعين مشوشة الرؤية، لم يدرك هل السبب هو تلك الدموع المترقرقه بعينيه أم لأنه أصبح يري كل شيء باللون الأحمر لون دماؤه التي تنزف من جراحه المثخنة بجسده، جراح لا يراها ولا يشعر بها سواه..

هل يستطيع أن يحطم تلك الطاولة التي أمامه؟ هل يستطيع أن يحطم تلك الجدران المحيطة به لعلها تمنحه بعض الراحة؟ هل يستطيع النهوض أساساً؟ فكر بشير بتهكم فساقيه لا يشعر بهما، فما قالته والدة أروى ذبحه وحطم أعصابه وروحه، لقد أخبرته ببساطة أن يترك أروى، أن يطلقها وكأنه أمر يسير، فهل يستطيع الإنسان الامتناع عن التنفس بإرادته فهكذا هي أروى له.. نفسه الذي

يملئ به رئتيه ليعيش.

"إذا كنت تحبها ستفعل فالحب تضحية"

ترددت جملة والدتها في عقله تطالبه بالتخلي عن حبه في سبيل أن يمنح أروى ما تتمناه أي امرأة في حياتها"الأطفال"تلك النعمة التي حُرم منها رغماً عنه، أن والدتها محقة ليس من حقه أن يحرمها هي الأخرى من تلك النعمة، عليه أن يحررها ولكن هل يستطيع؟ هل بإمكانه الانتحار دون أن يصرخ؟ انه ضعيف بحبها ويعترف فهل يستطيع أن يصل بنفسه لتلك المرحلة من الإيثار بأن يضحي بنفسه لأجلها؟؟

تصميم : فاتن طارق

أفاقت من شرودها على لكزة ميرفت لذراعها فرفعت عينيها نحوها بتساؤل، فقالت ميرفت بشفتين مذمومتين:

"لي أكثر من نصف ساعة أخبرك ما حدث معي وأنتِ شاردة"

زفرت أروى بضيق ممررة يدها في خصلات شعرها ترجعها للخلف قائلة بإعتذار:

"اعتذر ميرفت، عقلي ليس معي"

"من سرق عقلك يتهني به"قالت ميرفت مازحة لتجعل صديقتها تبتسم فلقد أمضت أروى الفترة الأخيرة حزينة ساهمة وهي تعذرها فما فعلته والدتها يحزنها هي شخصياً فلم تتوقع أن هناك أم تمتلك ذلك الجبروت وتتدخل في حياة ابنتها بهذا السفور.

"لا يوجد هناء بالأمر"ردت أروى بضيق

ربتت ميرفت على كتف أروى تواسيها قائلة:
"ستغير والدتك رأيها بعد فترة لا تقلقي"
"ليست أمي التي تشغل عقلي الآن"نفت أروى سريعاً ثم قالت بحيرة"انه بشير"
"ماذا به بشير؟"سألت ميرفت بعدم فهم
"لا أعرف ولا أفهم.. منذ عدة أيام وهو متغير يستيقظ باكراً ويغادر قبل أن أراه ثم يعود متأخراً وأنا نائمة وان انتظرته أخبرني ببرود انه مرهق ويريد النوم فلا يعطيني فرصة لأن أفهم منه شيء.. سأجن ميرفت.. سأجن"قالت أروى غاضبة
"ربما لديه بعض المشاكل بالعمل"قلت ميرفت مواسية لصديقتها
"كان أخبرني، بشير لا يخفي عني شيء"هتفت أروى بغيظ ثم عادت فهدأت وهي تتمتم بخفوت وقلبها لا يطاوعها على نطقها"اخشي أن يكون يمر

بإحدى تلك النزوات المجنونة لدي الرجال"
"وماهي تلك النزوات المجنونة التي يمر بها الرجال؟"سألت ميرفت باستغراب
هزت أروى رأسها بتأكيد وهي تردف بسخط:
"عندما يفقدوا عقولهم ويري كل منهم زوجته تشبه القرد حينما تظهر امرأة أخري بحياتهم"
"لا لقد جننتِ وانتهي الأمر"صاحت ميرفت بدهشة ثم قالت بتأنيب"ألم تجدي سوى بشير لتتهميه بالخيانة؟ أن الرجل يعشق التراب الذي تسيرين عليه بل انه لا يؤخر لكِ طلب ولأنه تغير بضعة أيام، تخيلتِ انه يخونك! كان الله بعونه"
عضت أروى شفتها وبداخلها تؤكد صحة ما تقوله ميرفت فهي تعلم أن بشير يحبها ولكن لمَ يبتعد عنها؟ انها لم تعتد أن يغيب عنها أو يتجاهلها بل لقد اعتاد أن يخبرها أن الساعات التي يقضيها

تصميم : فاتن طارق

بعمله هي أسوأ ساعات يومه لأنه لا يقضيها معها فماذا تغير إذاً؟؟ لقد اشتاقت إليه كثيراً، اشتاقت لكلماته المحبة ولدفء لمسته وحنان قبلته، تنهدت بعمق وهي تقول:

"ماذا أفعل ميرفت فأنا لست معتادة أن يعاملني بهذا الشكل فماذا عليّ أن أفكر إذاً؟"

"واضح أن التفكير يضرك فلا تفكري"قالت ميرفت مازحة فألقت عليها أروى نظرة معاتبه فأكملت ميرفت بجدية"حاولي أن تفهمي منه سبب تغيره بهدوء"

"سأفعل فقط أراه"تمتمت أروى وعقلها لا يلبث أن يعود للغرق بشروده في سبب تغير بشير، فما الذي قد جد عليه ولم يخبرها به، هل السبب هي؟؟

لأنها قضت أيامها حزينة وكئيبة، هل يكون مل

منها واعتبر حزنها دلالاً لم يعد يطيقه؟؟هزت رأسها مجدداً تنفض تلك الأفكار عن عقلها فليس بشير حبيبها من يفعل ذلك..

التفتت لميرفت التي نهضت لتغادر قائلة:

"دعي أفكارك المجنونة جانباً واتركيها على الله"ثم أضافت"سأغادر الآن الأولاد على وشك الوصول"

"حسناً"

رافقتها أروى للباب تودعها ثم عادت لأريكتها تدور بعينيها في أرجاء حجرة المعيشة مفكرة أن الشقة بدون بشير تبدو كئيبة فغيابه بالأيام الماضية يشعرها بالوحدة ويجعل الوساوس تتقاذفها كدمية تفعل بها ما تشاء، آه كم تكره الوساوس التي تصنعها وحدتها!

لا لن تستسلم لأوهامها، نهضت سريعاً متوجهة لغرفة نومها فسترتدي أفضل ما لديها لتمتلك قلب

تصميم : فاتن طارق

زوجها عندما يعود فربما حن عليها اليوم وتناول معها الغداء دون أن يتحجج ويجب أن يجدها عند عودته جميلة تستقبله بابتسامتها التي اعتادها منها فيكفي استسلاماً للكآبة..

بتبض قلبك أحيا

فتح باب شقته وهو يقدم ساقاً ويؤخر الأخرى إلا انه تجلد فهذا واجبه وما عليه أن يفعله لأجل أحب مخلوقة لقلبه.. ابتلع ريقه بمعاناة فالغصة التي بحلقه تسده بل تسد أمامه الحياة بأكملها..

"تجلد بشير.. لقد اتخذت قرارك وانتهي الأمر"نهر نفسه يأمرها بالصمود بينما قلبه متهالك لا يقوي على التحمل فاليوم حياته انتهت..

تحرك لغرفة نومه وهو يدعو دعاء يعلم انه لن يستجاب، يتمني لو استطاع أن يحمل ملابسه ويغادر بهم دون أن تراه أروى، عاد يزجر نفسه فعليه مواجهتها والانتهاء من ذلك الأمر فلن يستطيع التهرب منها بل أن حقها عليه أن يخبرها بما قرره لحياتهم حتى لو كانت تلك المواجهة فوق احتماله، حتى وان كان يخشى أن يسقط على قدميه باكياً أمامها، ولكنه عليه مجابهتها كما قرر..

بذل كل ما لديه من طاقة ليحرك ساقية باتجاه غرفة نومهم، فأدار مقبض الغرفة برهبة تولدت من قلبه المقبوض، ولأول مرة ابتسامتها التي استقبلته بها كانت خنجر مسموم وجه بقسوة لصدره خاصة وهي تقول بحبور:

"لم يخيب رجاء قلبي، لقد أمن إنني لن أهون عليك أكثر وستأتي لتمضي اليوم معي"

نظر بحسرة لثوبها الخوخي الذي يعشقه عليها حيث يظهر رشاقتها وخمرية وجهها الجميل ثم تطلع للحظة لوجهها متسائلاً بألم هل كان يجب أن تكون جميلة بهذا الشكل المؤذي لقلبه؟ يا الله لو كانت تعمدت تعذيبه لم تكن لتختار سوى ذلك الثوب لتشعره بما يوشك على فقدان حقه به، هز رأسه معنفاً قلبه فكل ذلك الحديث لن يعود من وراءه طائل فلقد اختار أن يضحي وعليه التزام ما

نواه حتى وان تفتت قلبه من الألم..

تجاهل حديثها متوجها لخزانة ملابسهم بوجه فاقد للحياة دون أن ينطق ثم اخرج حقيبة صغيرة اعتادوا اقتنائها من أجل سفريات قصيرة الأمد كانوا يقضونها متنزهين بالمكان الذي تختاره أروى، ولكن هذه المرة الأمر مختلف فالحقيبة ستحوي ملابسه فقد إيذانا ببدء حياة سيقضيها وحيداً متحسراً على حب لم يكتب له أن يحيا طويلاً سوى بقلبه.

"بشير لمَ لا تجيبني ولمَ تضع ملابسك بحقيبة السفر؟ هل سنسافر لمكان؟"سألت أروى بصوت مندهش مرتجف

زفر بعمق ثم تنحنح ليجد صوته قبل أن يستدير ويواجهها قائلاً بصوت متأثر رغم كل محاولاته أن يهدأ:

تصميم : فاتن طارق

"نحن لن نسافر لمكان.. أنا الذي سأترك المنزل"

"ماذا؟ هل لديك عمل يضطرك للسفر؟"سألت أروى باضطراب وبشائر دموع تترقرق بعينيها

هز بشير رأسه بنفي مقاوماً رغبته بالهرب من أمامها، فانفجرت أروى بالبكاء وهي تقول من بين نشيجها:

"هناك امرأة أخري، أليس كذلك؟"ثم أضافت محدثة نفسها"لقد كنت أعلم.. أنت لا تستطيع أن تبقي بعيداً عني إلا لو كان هناك أخري احتلت قلبك"

قبضة اعتصرت قلبه وهو يري دموعها وبينما يقترب منها ليضمها لصدره دون تفكير فيما قد قرره مسبقاً، توقفت قدميه وهو يستمع إلى اتهامها الباطل، كتم ضحكة مريرة بحلقه، فالحمقاء تظنه قادر على أن يحب سواها، ليته كان بمقدرته فلم يكن ليتعذب بتلك القسوة، ظنونها القاسية على قلبه جعلته يهدر قائلاً:

"توقفي يا مجنونة.. عن أي امرأة تتحدثين وهل عرف القلب سواكِ ليحبه!"

توقفت دموع أروى وهي تستمع لصراخ بشير الصادق، فنبرته لم تكن كاذبه، انه يحبها بالفعل ولا يوجد أخري بحياته ولكن لمَا ابتعاده اذاً عنها وذلك الغموض الغريب يحيطه ولمَا يعد حقيبته؟ أنها لا تفهم شيء، قطبت جبينها بضيق فكل شيء بعقلها يدور ولم تعد تستوعب شيء، تقدمت منه حتى وقفت أمامه وعينيها تحاولان آسر عينيه رغم تهربه منها قائلة:

"ماذا بك بشير؟ أخبرني هل أزعجتك بشئ؟ ان فعلت أخبرني لكن أن تعد حقيبتك وترحل.. لا لن أقبل فلم نتفق على هذا.. ألم نتفق على ألا نبتعد

أبداً وألا تمضي ليلة علينا ونحن غاضبين من بعضنا"
أغمض عينيه متمتماً بعذاب:
"اصمتي أروى.. أنتِ تصعبين الأمر"
"أي أمر أنا لا أفهم شيء"صرخت أروى فاقدة لأعصابها
ابتعد بشير عنها وهو يذرع الغرفة مغمغماً لنفسه:
"لم أتخيل أن الأمر سيكون مؤلم هكذا، ربما كان من الأفضل أن أرحل دون أن أواجهك"
"بشير"هتفت أروى بغضب وهي تشعر أنها بهذه اللحظة سترتكب جريمة إذا لم تفهم ماذا يقصد
سحب نفس بحده ثم استدار بشير يواجهها قائلاً بصوت متحشرج:
"أروى استمعي إليّ، لقد احتجت لوقت طويل لأفكر وأتوصل لقرار انفصالنا"
تسمرت أروى مكانها بعيون جاحظة لا تصدق ما

سمعته! هل نطق بشير كلمة انفصال؟ انفصال من
وكيف ولماذا؟؟
استطاعت أن تقول بصعوبة:
"ماذا تقول؟"
"أقول ما كان يجب عليّ فعله منذ علمت بعقمي
ولكنني كنت أناني وأبقيتك معي"قال بشير بألم
وهو يتفادى النظر لوجه أروى
صرخت بحدة تريده أن يتوقف عن إيلام نفسه
وإيلامها هكذا:
"أنت لست أناني أنا من تريد البقاء معك"
"من فضلك أروى، لا تعذبيني"قال برجاء ثم
أضاف بحسم"لن اسمح لك بالتضحية بعمرك
لأجلي"
"من قال إنني أضحي، أنا أحبك"قالت أروى ببكاء
ثم هزت رأسها برفض مردفة"هذا ليس كلامك..

تصميم : فاتن طارق

من وضع بعقلك هذه الظنون؟"

"لا يهم من وضعها كما أنها ليست ظنون أنها حقائق أنا لا أنجب ولن أنجب، وفي يوم ستشتاقين للأطفال وحينها ستكرهيني"قال بشير بأسي

"أقسم لن أفعل"تعهدت أروى برجاء ثم قالت والدموع تتساقط بلا توقف على وجنتيها"انا لا أريد سواك، أنت حبيبي وطفلي وروحي"

"تقولين هذا الآن لكن بعد بضعة سنوات ستندمين على ما ضحيتِ به في لحظة طيش"قال بشير متألماً

نهضت من مكانها لتقف أمامه تتمسك بذراعيه لتقنعه بأنه هو فقط من تتمناه وتحبه قائلة بتوسل:

"تلك كلمات أمي، هل حدثتك؟ ألهذا تريد الابتعاد؟ أنت تعلم أنني لن أفعل.. أقسم لن أفعل ما تقوله، كيف تتصور أنني قد أندم على حبنا

بشير؟"

دمعة سقطت على وجنته رغماً عن إرادته مسحها سريعاً فكلماتها تزيد من عذابه وتصعب عليه لحظة فراقهم فقال بعذاب:

"لا أستطيع أن أحرمك من والدتك كما حرمتك من الإنجاب، ضميري لا يستطيع القبول بهذه التضحية من جانبك"

هزت رأسها عدة مرات برفض وهي تقول:

"أمي ستقتنع بأني لا استطيع الاستغناء عنك"

التوت شفتيه بشبح ابتسامة متهكمة وهو يجيبها

"لن تقتنع أنها مصممة على موقفها"

"لن تتركني لأنها قالت ذلك"صاحت أروى بغضب وهي تهزه بيأس ودموعها تزداد انهماراً

هز رأسه بنفي قائلاً بألم:

"بل أتركك لأجلك لتجدي السعادة التي

تصميم : فاتن طارق

تستحقيها"

"لاااا"صرخت أروى وهي متشبثة بكتفيه فأزاح يديها مبتعداً عنها قبل أن يطاوع قلبه ويأخذها بين أحضانه ثم قال بصرامة مصطنعة:

"لقد انتهي كل شيء أروى ولم يعد لجدالنا فائدة"

"ماذا تقصد؟"همست بخوف

"لقد طلقتك اليوم"قال بشير بقلب مكلوم

نظرت لوجهه الشاحب تريد أن تري بعينيه تكذيب ولكن عينيه أخبرتها انه يقول الحقيقة، تحركت للفراش تستند عليه فساقيها لم تعودا قادرتين على حملها مغمغمة:

"أنت لا تمزح"

تابع حديثه وكأنها لم تنطق:

"سأترك الشقة لبضعة أيام تستطيعين أن تأخذي منها ما تريدين"

رفعت عينيها نحوه تحدق به بذهول غير مصدقة ما يحدث معها، من المؤكد أنها وسط كابوس، لا ليس كابوس فحتي الكابوس لن يكون بهذه القسوة عليها:

"كيف استطعت؟"غمغمت بصدمة تريد جواباً للسؤال الوحيد الذي استطاع عقلها تكوينه في تلك اللحظات.

"لأجلك.. فقط لأجلك صدقيني"همس بصدق تلاقت نظراتهم للحظات وكلا منهم يتشرب ملامح الأخر داخله حتى قطع بشير التواصل بين أعينهم وحمل حقيبته ورحل تاركاً أروى تتجرع مرارة فراق لم يخطر يوماً ببالها بينما بشير على الجانب الآخر بعد أن أغلق باب الشقة خلفه كان يدعو بتوسل مغمغماً:

"يا الله امنحني القوة لأتحمل ذلك الألم بصدري

تصميم : فاتن طارق

وصبرني على فراقها وصبرها على فراقي.. أنت تعلم أنني طلقتها لأجلها"

دمعة أفلتت من عينه فمسحها وهو يهبط درجات السلم مودعاً حب عمره الذي أجبر على مفارقته رغماً عن قلبه..

لم تهتم بالنظرات الحائرة لسائق سيارة الأجرة التي توصلها لمنزل والدها فهي لا تستطيع أن تجبر عينيها على التوقف عن البكاء، فهي بحاجة للبكاء لتعبر عن صراخ قلبها، فصوت صراخه أعلي من أن تصمته، توقفت السيارة فهبطت منها ونقدت السائق أجرته ثم صعدت الدرج بعدم استيعاب، فمنذ أقل من ساعتين كانت تعد نفسها لسهرة تقضيها مع حبيبها، متخيلة كيف ستتدلل عليه وتشاكسه، فلم يخطر بعقلها حينها أنها بعد وقت قليل ستُطلق خاسرة حبيبها ومضطرة لان تحضر لوالدتها التي طردتها والتي كانت سبباً بطلاقها!

لقد فكرت أن تبقي ببيتها وتنتظر عودة بشير مرة أخري ولكنها عرفت أن بشير لن يعود فهي تعرف شخصيته فطالما أخذ هذا القرار فلن يعود، لقد طلقها دون أن يخبرها قبلاً خوفاً من أن يتراجع فما

الذي تبقي لها بذلك المنزل تنتظره؟

ثم أنها بحاجة حضن تبكي عليه وهي لا تملك سوى والدتها حتى وان كانت غاضبة منها بشدة إلا أنها بحاجتها، وجدت نفسها أمام باب شقة والدتها فطرقته ومازالت الصدمة تسيطر عليها ودموعها سبيلها للتعبير عن ألمها.

فتحت والدتها الباب فهلعت وهي تري الدموع تغرق وجه أروى:

"أروى ابنتي ماذا بكِ؟"

"بشير.. طلقني.. كما.. أردتِ"قالت أروى بتقطع وهي تطالع والدتها التي بهت وجهها وهي تستمع لابنتها ثم أضافت أروى بهذيان:

"لقد.. أخبرني.. أن أخذ.. ما أريد.. ولكني.. لا أريد.. سواه"

"أمي"نادت أروى وهي تستند لكتف والدتها التي قالت بجزع على ابنتها وهي تراها بوضع غير طبيعي:

"نعم يا قلب أمك"

"هل أستطيع أن أخذه؟" قالت أروى بنشيج ثم وضعت يدها على رأسها الذي بدأ يثقل فقالت رحمة بلوعة:

"أروى ماذا بكِ؟"

لم تستطع أروى الرد فرأسها ثقل وعجزت عن الإتيان برد فرحبت بالدوامة السوداء التي تسرقها آملا أن تجد راحة بها فلم تستمع لصرخة والدتها بلوعة باسمها..

استطاع جسد رحمة بصعوبة توصيل أروى لأقرب أريكة ثم ركضت بلهفة على الهاتف تهاتف ولدها لتخبره أن يحضر طبيب لشقيقته وكذلك هاتفت ياسين شقيقها ليتصرف هو الأخر ويأتي فربما

تصميم : فاتن طارق

استطاع أن يحضر سريعاً عن فادي، بقيت بجوار أروى ودموعها تنعي حظ ابنتها حتى قدوم ياسين شقيقها والذي أعقبه مجيء فادي بعده بعدة دقائق لم تنتبه لكم مر من الوقت منذ هاتفتهم فبالنسبة إليها شعرت بذلك الوقت أعوام ثقيلة تطبق على أنفاسها..

انتظرت بحرقة انتهاء الطبيب من فحص أروى ليطمئنها فتبعته للخارج ملقية نظرة متألمة على أروى الساكنة بفراشها فقال الطبيب بعملية وهو ينظر لياسين الذي سأله عمَ بها ابنة شقيقته:

"للأسف لديها انهيار عصبي وضغطها مرتفع بشكل خطير، يجب أن تواظب على العلاج الذي كتبته وتبتعد تماماً عما يزعجها وعندما تتحسن يجب أن تزورني في عيادتي حتى اطمئن على ضغط الدم"

شهقت رحمة بألم ودموعها تنهمر حزناً على حال

ابنتها بينما فادي يربت على كتفها مواسياً ويطمئنها أن أروى ستكون بخير..

عاد ياسين من الخارج ثم منح الروشتة لفادي ليحضر الدواء ثم قال موجها حديثه بحدة لشقيقته دون اهتمام ببكائها:

"هل أنتِ سعيدة بالحالة التي أوصلتِ ابنتك إليها؟ مضيفاً بصوت قاسي"سأهاتف بشير ليحضر حتى يأخذ زوجته ويرحمها من أم قاسية مثلك"

"ياسين"صاحت رحمة باعتراض ودموعها تنهمر بلا توقف وضميرها يؤنبها فكل كلمة نطقها ياسين لاقت صداها بقلبها الحزين على حال ابنتها فقالت بانهزام:

"لا تتصل ببشير.. لقد طلق أروى"

"ماذا؟"

انطلقت الكلمة بذهول من أفواه كلا من فادي

تصميم : فاتن طارق

وياسين إلا أن ياسين كان الأسبق باستعادة وعيه بعد القنبلة التي أطلقتها شقيقته فقال برفض:

"مستحيل.. بشير لا يفعلها انه يعشق أروى"ثم أردف مدققا النظر لشقيقته

"ماذا فعلتِ؟"

"ما كان يجب أن أقوم به.. أنا أم تريد أن تري ابنتها سعيدة؟ هل هذا طلب كبير؟"هدرت رحمة ببكاء ثم أردفت بعنف:

"لا تنظر إليّ هكذا كأنني الشريرة.. أنا فقط أم.. أم"

اقترب فادي من والدته يحتضنها مواسياً بينما ياسين على رغم تعاطفه مع شقيقته وتفهمه لمنطقها إلا أن إشفاقه على أروى وزوجها كان أقوي فقال بتأنيب قاسي:

"رددي ذلك على نفسك عندما ترين ابنتك وهي تذبل أمامك.. فاليوم فقط البداية"

مسحت رحمة دموعها بقوة وهي تنهض قائلة:

"ستنسي.. ستنساه بمرور الأيام وستتزوج وستنجب"

"ابقي في أوهامك حتى تصدمك الحقيقة"قال ياسين بلا مبالاة ثم نهض راحلاً فلا قدرة لديه على مواجهة شقيقته بأكثر من هذا ولا رغبة عنده برؤية بقايا أروى، فهو يشعر بالذنب لأنه لم يستطع السيطرة على شقيقته فكان أن اشترك في الجناية على روحين معلقتين ببعضهما فغمغم وهو يغلق الباب خلفه:

"صبركما الله وكان بعونكم أبنائي"

بينما رحمة جلست بجوار أروى النائمة على فراشها، غارقة بسباتها، هاربة من دنياها، فمسدت شعرها بحنان قائلة ودموعها تنهمر فوقه:

الفصل السابع

"سامحيني حبيبتي فلأجل مصلحتك أقدمت على ما فعلت"

بتبض قلبك أحيا

مرر أصابعه بحنان على صورتها بهاتفه، فهي التي تؤنسه بشقائه الذي فرض عليه، ابتسم وهو يمرر إصبعيه على شفتيها، فلطالما كانت ابتسامتها معدية، حتى بأقصى غضبه كان يكفي أن تبتسم له ليذوب ذاك الغضب ويتبخر..

رفع الهاتف لفمه يقبله واضعاً ثغره على ثغرها، لقد أشتاق لتقبيلها بل اشتاق لكل شيء بها فهو لم يكن يكتفي منها أبداً فروحها هي التي كانت تمنحه الطاقة لمواصلة الحياة، انه يشعر بعدها بان الحياة أصبحت خانقة كاتمة على أنفاسه فلا يستطيع أن يتنفس براحة سوى عندما يقضي وقته هكذا يري صورها ويتخيل مواقفهم..

بدل الصورة لتقع عينيه على أخري رفضت الابتسام بها، لقد التقط تلك الصورة في فترة خطبتهم أثناء إحدى نزهاتهم معاً، لقد غضبت

منه يومها عندما أجبرها على تبديل تنورتها الضيقة ورغم انه لم تكن من عادة أروى ارتداء شيء ملفت إلا أن تلك التنورة أحبتها وصممت على ارتدائها وهو رفض تماماً وأجبرها على الامتثال لرأيه عندما هددها انه لن يخرج معها هكذا، فبدلتها بالفعل ولكنها أصرت على البقاء غاضبة منه حتى وهو يلتقط صورتها ولم ترضي عنه سوى بعدما ابتاع لها الشكولاتة المفضلة لديها، شكولاتة بالبندق كلون عينيها اللوزيتين..

زفر زفرة عميقة وهو يفكر كم يوم مضي على فراقهم، منذ كتب بيده كلمة النهاية لقصتهم، سبعة أيام أي ١٦٨ ساعة وبالدقائق يعادل ١٠٠٨٠، لقد احتسبهم خصيصاً لأجلها فكل لحظة تمر عليه يتألم بها، لقد مرت عليه تلك الأيام كأنهم سنوات تائه فيهم الليل والنهار في فكره، فلم يعد يفرقهم

عن بعض، فقط يعرف أن النهار قد حان عندما يرن منبه هاتفه فيخبره أن عليه النهوض للذهاب لعمله أما بقية اليوم فيقضيه بغرفته مع صورها فيصبر نفسه بقربها..

دقات على الباب جعلته ينتبه فأخفي هاتفه تحت الفراش ثم أذن لمن بالخارج فدلف شقيقه حسام، رفع بشير عينيه بتساؤل نحوه فقال حسام معاتباً:

"لِمَا لا تجلس معنا بالخارج؟ لقد كنا نراك وأنت بشقتك أكثر مما نراك وأنت معنا"

أسدل بشير أهدابه بألم:

"أسف حسام.. أريد البقاء لوحدي لبعض الوقت"

"لِمَا طلقتها بشير؟" سأل حسام بلوم وهو يجلس على طرف فراش بشير محدقاً بالهالات السوداء التي تحيط بعيني شقيقه

أسند بشير رأسه للخلف وهو يقول بتعب:

تصميم : فاتن طارق

"لن تفهمني"

"بالطبع لن أفهم.. كيف تتخلي عن أروى وهي تحبك وأنت تحبها لأجل خاطر والدتها؟"هتف حسام بانفعال

"بل لأجلها حسام.. لأجل أروى فقط"قال بشير مغمضاً عينيه وصورة لعينيها ذابلتين حزناً على ابتعاد والدتها تتراءي أمامه في خياله

"ولكن أروى تحبك وكانت راضية بحياتها معك"اعترض حسام بحنق

فتح بشير عينيه قائلاً بحدة:

"لا أستطيع أن أحرمها من والدتها كما حرمتها من الأطفال، لا أستطيع أن أكون أناني لهذه الدرجة"

زم حسام شفتيه بعدم رضا وإقتناع قائلاً:

"يا ليتك كنت أناني، كنت ارتحت"

فتح الباب فجأة فتطلعوا لوالدتهم التي قالت

بحنق موجهة حديثها لحسام:

"أخبرك أن تدخل لشقيقك لتأتي به يجلس معنا فتجلس أنت معه وتنسي ما قلته"

"كنت أقنعه أمي"قال حسام مبررا ليتفادي غضب والدته

"حسام ليس المخطئ أمي أنا من أخبرته أنني أريد البقاء بمفردي قليلاً"قال بشير بهدوء

"لمَ تعذب نفسك هكذا حبيبي؟ انسها وعش حياتك.. من باعك لا تشتريه"قالت سميرة بحرقة

وهي تقترب من فراش بشير

اتسعت عيني بشير بغضب ثم قال بسخط مكتوم:

"أروى لم تبعني أمي، أنا من اخترت الفراق لأجلها، من فضلك لا تتحدثي عنها هكذا"

لوت سميرة شفتيها ثم قالت بمهادنه فهي لا تريد إثارة غضب بشير بل كل ما تتمناه هو أن يخرج

تصميم : فاتن طارق

من عزلته فقلبها يؤلمها عليه:

"حسناً هيا بنا نجلس بالخارج مع والدك ومصطفي الصغير"

"أخرجوا أنتم" قال بشير بحزن فليس لديه طاقة ليجلس مع أحد فقط يريد أن يغرق بذكرياته مع ساكنة قلبه

"ألم تشتاق لمصطفي الصغير؟"قال حسام بمكر ارتسمت ابتسامة صغيره على شفتي بشير قائلاً بأسي:

"بلي اشتقت ولكن اعذروني حقاً أحتاج للبقاء بمفردي"ثم أضاف بحزم"غداً سأذهب لبيتي"

"لِمَا بني ستذهب لهناك؟ فلتبق معنا فقلبي لن يطمئن عليك بمفردك"قالت سميرة بجزع

"لقد أتيت لهنا حتى تستطيع أروى أن تأخذ ما تريد دون حرج ولكن من الطبيعي أنني سأعود لشقتي، يكفي فترة بقائي هنا مقيداً حرية شاهندة"أجاب بشير بضيق

تدخل حسام في الحديث معترضاً:

"ما الذي تقوله هذا بشير؟ أن هذا منزلك يارجل"

"من فضلكم لا تناقشوني فهذا ما قررته"قال بشير منهياً الحديث في إشارة منه لهم بأن يتركوه بمفرده، فهم حسام الإشارة فربت على كتف والدته لتنهض ثم قال بدعم لبشير:

"إذا غيرت رأيك انضم إلينا"

انتظر إغلاقهم الباب حتى اخرج هاتفه مجدداً على صورتها الضاحكة فأفلتت من عينه دمعة وهو يتمتم شاكياً:

"يعتقدون إنني سأجد راحتي بنسيانك ولا يعلمون إنني أحيا فقط بتذكرك.. فأنتِ حبيبتي بنبض قلبي تحيي فإذا قتلتك بقلبي فكيف

تصميم : فاتن طارق

أحيا؟؟"ثم أضاف وهو يضم هاتفه لقلبه بأنين موجع"اشتقتك ياروحي حد الألم.. يا الله صبرني على الاحتمال"

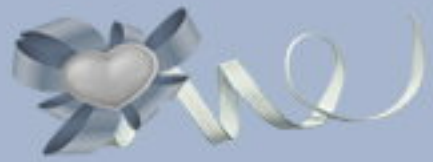

"هيا يا أروى لتتناولين الغداء"

استمعت لنداء والدتها دون أن تتحرك فلا رغبة لديها لتناول شيء كما لا رغبة لديها بالدخول بجدال معتاد مع والدتها، ولكن يبدو أن والدتها لن تستسلم فخطواتها تقترب حتى أصبحت أمامها.

"لمَ لا تردين عليّ أروى هيا انهضي لتتناولي طعامك، لقد أصبح وجهك شاحب"قالت رحمة بحزن

رفعت أروى عينيها الذابلتين لوالدتها وهي تردد بضجر إجابة تتكرر كل وجبة منذ استردت أروى وعيها وحاولت التعامل مع واقعها الجديد:

"تناولي أنتِ الطعام أمي، فأنا ليس لدي شهية"

نظرت رحمة لابنتها برجاء:

"يا ابنتي لا تتعبي قلبي معك، لقد هزلتِ بشكل

واضح ووجهك لونه أصبح أصفر"

"لا تقلقي أمي ستنسي تعب قلبكِ عندما تتناولين طعامك"قالت أروى وابتسامة متهكمة على شفتيها

اتسعت عيني رحمة بدهشة وهي ترمق ابنتها بذهول من كلماتها وأسلوبها الجديد فهذه ليست أروى ابنتها فقابلت أروى ذهول والدتها بهدوء وهي تكمل حديثها:

"أنتِ من أخبرتني أن تعب القلب يأخذ وقته ويزول"

لحظات مضت ورحمة تقطب جبينها تحاول استيعاب مقصد أروى حتى ضربتها الحقيقة فابنتها تشير لبشير وحبها له، لقد سبق أن أخبرتها أنها تحبه فكانت إجابتها أنها ستنساه بمرور الوقت.. أحنت كتفيها بانهزام فهي حتى الآن تحاول أن تخبر نفسها أنها لم تخطئ بما فعلته

وعنادها يؤكد لها أن أروى ستنسي بمرور الوقت ولكن كلما نظرت لأروى أو الشبح الذي أصبحت عليه ابنتها تتراجع جميع الأفكار بعقلها ولا يبقي سوى الخوف من أن يحدث لأروى شيء خاصة وهي لا تتناول سوى بضعة لقيمات بيومها بعد إلحاح منها مما يجعلها تتساءل هل ستعود ابنتها يوماً تلك الفتاة التي تأسر بحيويتها وروحها من يراها؟؟

وضعت يدها على صدرها وهي تقول بتعب:

"يجب أن تتناولين طعامك حبيبتي حتى تأخذي الدواء الذي أعطاه لكِ الطبيب، لقد أكد على ضرورة التزامك به"

زفرت أروى مفكرة وماذا سيحدث إذا لم تلتزم به؟ هل ستموت وما الفرق بين حياتها وموتها الآن فالاثنين متعادلين لديها فهي تشعر بداخلها أجوف

تصميم : فاتن طارق

خاوي والتعاسة تسكنها!

تنهدت وهي تنظر لوالدتها والتي يبدو على وجهها التعب وعلي قدر غضبها منها إلا أنها تشفق عليها من العذاب الذي تحياه بسببها فقالت مستسلمة:

"هيا نتناول الطعام"

تهللت أسارير رحمة وقد رجعت إليها ثقتها أن ابنتها ستعود إليها كما كانت فهي لن تستطيع أحزانها، جلست أروى تتناول الطعام بشرود، تقلب بالملعقة الأرز دون أن ترفعه لفمها وعقلها يشرد بها للحظات من الماضي القريب كانت تتناول بها الطعام سعيدة برفقة بشير وكلا منهم يحاول إطعام الآخر بل وحتى يتبادلون القبلات أثناء تناولهم الطعام!

ارتسمت ابتسامة حنين على شفتيها أعقبها تساقط دموع من عينيها لم تشعر بهم فعقلها كان منشغل

بالقلق على توأم روحه، لقد أخبرها بشير كثيراً انه لا يستسيغ الطعام سوى برفقتها فماذا يفعل الآن وكيف يتناول طعامه؟ هل افتقدها؟ لمَ إذن تركها وكيف استطاع أن يؤلمها هكذا؟ كيف؟ كيف؟

انتبهت أن بكاءها تحول لشهقات عالية ووالدتها تقترب منها جزعة:

"اسم الله عليكِ ابنتي.. ماذا حدث؟"

استسلمت لحضن والدتها وبكاءها يزداد حدة فالألم بقلبها لا يحتمل، لحظات وشعرت برغبة قوية بالغثيان فابتعدت عن حضن والدتها وهرعت للحمام مفرغة ما بمعدتها حتى ترتاح ووالدتها تلحقها بها وتسمي عليها، أسندت نفسها بالقوة بعد أن انتهت ثم توجهت لغرفتها مستسلمة للنوم في استلقاء أقرب للإغماء منه للنوم متمتمة بشفتيها لوالدتها:

تصميم : فاتن طارق

"دعيني ارتاح قليلاً"

بينما رحمة تنظر إليها بخوف من حالتها تلك مقررة أن تذهب بها للطبيب لتعرف ماذا لديها، داعية الله أن تعود إليها ابنتها وتتغلب على ما تعانيه..

زفر بضيق وهو ينظر بسخط لهاتفه، كان يمسكه في يده كأنه يحاول استنطاقه، يريده أن يخبره لم لا تجيبه أروى؟ هل ينست منه أم ملت أم نجحت أخيراً في التوقف عن حبه؟

حتى وان نجحت لم تحرمه من صوتها الذي يحييه، انه الشيء الوحيد الذي يصبره على ابتعادها ومن غيره سيجن..

التوت شفتيه بابتسامة ساخرة وعقله يجيبه:

"وكأنك لم تجن بعد يا بشير، لقد أصابك ابتعاد أروى بالجنون يا مسكين وإلا ماذا تسمي ما تفعله كمراهق يحاول أن يشاغل ابنة الجيران"

"لا أشاغلها أنا فقط اطمئن عليها، صوتها يخبرني أنها بخير"نفي قلبه التهمة سريعاً فهو لا يريد من حياته سوى أن تكن أروى بخير وكل شيء يهون عدا ذلك.

شعر بعقله ينظر إليه مستهزئا من منطق قلبه وهو يحاوره في أفعاله الغريبة على طبعه:

"ما تفعله هو مراهقة متأخرة لقد طلقتها وانتهي الأمر، لم لا تدعها تنساك، تهاتفها كل يومين من رقم غريب كأنك مراهق وأنت تعلم أنها تعرفك صحيح أنك لا تتكلم ولكن أنفاسك تفضحك وأنت سعيد أنها تفضحك فهكذا ستظل بعقل أروى دائماً، لست شهمًا بشيركما تحاول أن توهم الجميع"

"ألا يكفي أنني تركتها وتركت معها روحي، بما سيضرها اتصالي وأن اشعر للحظات أنى مازلت قريب منها؟ أن تلك اللحظات البسيطة هي التي تحييني"هدر قلبه في صدره متألماً

"مرحبا بشير أسف على تأخري"

قطع صوت سامر الحوار المشتعل في رأس بشير بين قلبه وعقله دون أن يستطيع حسم الجدال بينهم

لصالح أحد فلكليهما وجهة نظر لا يستطيع إنكارها فقال بلامبالاة لسامر:

"لا بأس سامر ماذا تشرب؟"

ثم أشار بيده للنادل ليأتي، فأملي سامر طلبه للنادل وهو يقول بضيق:

"فقط فنجان قهوة سادة يضبط رأسي"

أومئ النادل ثم انصرف ببنما تابع سامر حديثه بغيظ:

"لا أفهم يا رجل كيف يعمل عقل المرأة، أخبرها أنك تنتظرني بالمقهى لتؤجل حديثها وهي أبدا مصممة أن تستمر بشكواها، لا أفهم أين كان عقلي وأنا أتزوجها؟ والأنذال أصدقائي تركوني أقع بالفخ دون أن يحذرني أحدهم"

ابتسم بشير ابتسامة باهتة دون أن تصل لعينيه وهو يهز رأسه بلا فائدة من صديقه، فسامر لا

تصميم : فاتن طارق

يقدر قيمة النعمة التي بين يديه فقال برزانة:
"وما الذي يضيرك لو استمعت إليها قليلاً حتى لو تأخرت على موعدنا، كنت ستسعدها إذا شعرت باهتمامك بما ستقوله"
حملق سامر بسخط في بشير وهو يجيبه:
"وأتحمل شكواها التي لا تنتهي، لا فلتشعر بقلة اهتمامي أفضل حتى لا تعاود محادثتي بأمور تافهة"
"لا فائدة من مناقشتك، ستظل تشكو طيلة حياتك دون أن تحاول إصلاح حالك"قال بشير شارداً وهو يعيد طلب رقم أروى بضيق، فلقد رن هاتفها بالأمس ولكنها لم تجيب أما اليوم فهاتفها مغلق وهو يريد الاطمئنان عليها فقلبه مقبوض منذ الصباح.
"أتركك مني سيادة الحكيم وانظر لنفسك، لمتي

ستظل هكذا بشير؟"سأل سامر ساخراً
وضع بشير الهاتف بحده من يده وقد يأس من الاستماع لتلك السيدة التي تجيبه بأن الهاتف الذي طلبه مغلق ثم قال بعدم فهم لسامر:
"ما به وضعي حتى لا يعجبك؟"
"وهل يعجب أحد وضعك؟! كل يومين تشتري خط جديد تحادث به طليقتك ثم تلقيه وتشتري آخر وكأنك مراهق غر يريد أن يستمع لصوت حبيبته"قال سامر بعدم رضا
"سامر"هتف بشير بحده ثم أردف بشفتين مزمومتين"لا تجعلني أندم أنني أخبرتك"
"أنت لم تخبرني بالبداية، أنا من رأيت معك خط وحاصرتك بأسئلتي عندما رأيت اضطرابك حتى أخبرتني بمراهقتك المستجدة"قال سامر بسأم
مرر بشير يده بين خصلات شعره بإرهاق ثم زفر

بتعب قائلاً:

"ماذا تريدني أن أفعل؟"

"فلتنسها بشير.. لقد مر أكثر من شهر أنت فقط أمنح نفسك الفرصة لتنساها.. انسها لترتاح"أجابه سامر متعاطفاً

هز بشير رأسه عدة مرات رافضاً وهو يردد:

"لا أستطيع.. لا أستطيع"ثم أكمل قائلا بألم"انها حياتي سامر، أتفهم؟ أن ما أفعله هو ما يصبرني على بعدها"

تجرع سامر ما بفنجانه مرة واحدة ثم قال بأسي:

"أفهم بشير.. ولكن ماذا ستفعل إذا تزوجت؟ لقد تركتها حتى يكون باستطاعتها أن تكون أم"

تهدلت كتفي بشير بضعف قاتل فكلمات سامر أعادت إليه واقع حاول نفيه من عقله، فصحيح انه طلق أروى حتى لا يظلمها معه وتجد سعادتها مع

أخر لكنها بقلبه مجرد شعارات فهو وان تمني لها السعادة إلا انه لا يستطيع تخيل أروى مع أخر، تتدلل وتضاحكه مثلما كانت تفعل معه، لا يستطيع احتمال التفكير بوجود أخر يحق له ملامسة وحب أروى.. لا لن يحتمل.. عند هذه الصورة أغمض عينيه ثم همس بصوت خافت فاقد للحياة:

"سأموت"

صمت سامر غير قادر على إيجاد رد مناسب على ما قاله بشير فكيف يستطيع إقناعه بنسيان أروى وهو يعلم جيداً كم تعني أروى لبشير كما انه غير قادر على الصمت على ما يعانيه صديقه.. زفر بعمق وهو يراقب عيني بشير المشغولتين بهاتفه فغمغم بداخله:

"يا الله منك بشير لو كنت فقط أناني وتخليت عن

تصميم : فاتن طارق

عن أفكارك المثالية تلك ولم تهتم بأحد، لم تكن لتتعذب هكذا"

بينما بشير كان غارقاً بتفكيره فقلبه مقبوض يريد أن يطمئن فقط على أروى وقد نحي جانباً الصورة القاتمة التي رسمها سامر بعقله فلا شيء يهم الآن سوى أن يطمئن على أروى ثم أمسك هاتفه وقلبه يدعو مبتهلاً:

"يا الله فلتكن فقط بخير"

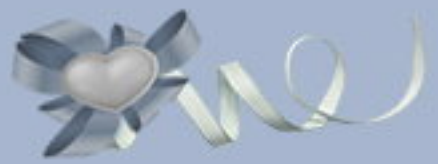

بتبض قلبك أحيا

كانت تنظر للسقف والدموع تنساب من وجنتيها بلا رادع، هل تبكي حظها أم تبكي حبها أم تبكي حياتها التي تحولت فجأة لحزن كبير بعد أن كان الجميع يحسدها على سعادتها!

فليأتوا ويروها الآن ممددة على فراشها بلا قوة، ضعيفة، حزينة، هزيلة، تتقبل مصيرها المؤلم بلامبالاة، منتظرة أن تكتب كلمة النهاية لحياتها بأي لحظة دون أن تعترض، دون أن تنتابها رغبة حقيقية في المقاومة أو الصراخ متشبثة بالحياة بل أنها بداخلها تتمني أن تنتهي حياتها سريعاً دون ألم، فالألم بقلبها لا يطاق..

ارتجفت وهي تفكر أن الحياة لا أمان لها أعطتها كل شيء ثم فجأة أخذته منها دون مقدمات، أسبلت أجفانها فوقعت عينيها على هاتفها المغلق والذي سيظل مغلقا إلى أن يشاء الله، فلا لن

تستطيع أن تفتحه وتستمع إلى أنفاس بشير، ورغم أنها تشتاق لتلك الأنفاس والتي كانت تعينها على تحمل ابتعادهم، إلا أنها الآن لا تستطيع احتمالها، فربما أن هاتفها كانت هي المتحدثة هذه المرة، بل من المؤكد أنها ستبكي وتشكو إليه فراقه بل قد تتذلل وتخبره أن يعود، ألا يتركها، محملة إياه مسئولية ما حدث لها، فقلبها ليس المتضرر الوحيد من ابتعاده بل أن كل عضو من أعضائها قد اشتكي من هذا الفراق وأن كان الأمر بدأ بكليتيها، فلن يلبث أن تشكو بقية أعضائها وستأتي النتيجة الحتمية لذلك الألم الذي تعاني منه وهي "الموت" نعم أن حدثته ستحمله مسئولية موت قلبها ومن بعده روحها وماذا سيفعل بشير حينها؟ سيتضاعف ألمه وربما يعود إليها بدافع الشفقة ولكن ماذا سيفعل ببقايا أنثي في حالتها؟؟ لقد تركها لأنه أراد

سعادتها وهي مثله لن تكون أنانية وستمنحه فرصة إيجاد سعادته بعيداً عنها، عن الشبح الذي أصبحته..

انهمرت الدموع من عينيها أكثر وهي تفكر انه مع مرور الأيام سينساها ويحب غيرها، لقد قالت والدتها انه بمرور الأيام الإنسان ينسي فهل سيفعل إذن؟ هل سينجح في نسيانها بتلك السهولة؟

لقد مر أكثر من شهر على فراقهم وهو لم ينساها فاتصالاته الهاتفية بالفترة الماضية تؤكد لها انه يجد صعوبة ببعدها، فحتي وان لم ينطق كلمة فهي متأكدة انه هو، هي لن تنسي صوت أنفاسه ولا تستطيع تكذيب قلبها الذي يخفق سريعاً كلما تلقي اتصالا من رقم غريب!

أغمضت عينيها بعذاب، أنها تتألم من ذلك الحصار الذي تفرضه على قلبها وتمنعه من الاستماع

تصميم : فاتن طارق

لأنفاسه، والشعور بقربه، وتتألم من أفكارها التي لا تهدأ حوله تاركة مصيبتها الكبرى بلا اهتمام.. يا الله أنها تريد أن ترتاح ربما كان بالموت الراحة التي تنشدها..

استمعت لصوت الباب يفتح بهدوء فثبتت جسدها وشددت من إغلاق عينيها فهي لا تريد التحدث مع أحد، لحظات واستمعت لصوت إغلاق الباب مجدداً، حمدت ربها أن والدتها لم تحاول محادثتها، فهي ليست قادرة على الاستماع لكلمات مواساة من أحد أو الظهور بمظهر القوية، لقد لجأت لغرفتها متصنعة النوم منذ عادت من موعدها مع الدكتور والذي أخبرها بحقيقة مرضها بعد العديد من الفحوصات التي أجرتها في الأيام الأخيرة.

ابتسامة شاحبة كوجهها ارتسمت على شفتيها وهي تفكر كم أن المثل القائل "الدنيا دوارة" حقيقي فكما ألحت بيوم على بشير ليذهبوا للطبيب فكانت سببا لإكتشافه مرضه، كان إلحاح والدتها ودموعها سبباً في اكتشاف مصيبتها هي الأخرى، فبعد الإغماءات التي أصابتها مؤخرا أصرت والدتها عليها أن تخضع للفحص لتطمئن على حالها وتحت ضغط دموعها وافقت لتذهب للطبيب ويخبرها أن عليها إجراء عدة فحوصات ليحدد ما بها، وقد قبلت على مضض وها قد ظهرت نتيجة الفحوصات واكتشفت أنها مصابة بالفشل الكلوي المزمن وعليها ضبط ضغط الدم المرتفع لديها وكذلك اللجوء للغسيل الكلوي لأنها بمرحلة متقدمة من الفشل..

لقد انهارت والدتها تماماً وهي تستمع لحديث الطبيب مغمغمة "مستحيل" ولولا خالها ياسين

الذي كان برفقتهم بدلاً عن فادي والذي واسي والدتها وجعلها تتحمل الخبر لم تكن تعرف ماذا ستفعل حينها! فهي رغم أنها تلقت الخبر برباطة جأش إلا أنها كانت مصدومة، صدمة تجعلها غير قادرة على مواساة أحد أو التخفيف عنه، ولم يكن منبع صدمتها أنها وجدت نفسها فجأة مريضة بمرض خطير، لا أن صدمتها كانت نابعة من الذهول!

ذاهلة من الحياة وكيف تغير حياة الإنسان في بضعة لحظات، فبالأمس كانت صحيحة ومعافاة وسعيدة مع بشير واليوم حياتها في خطر ووحيدة لا تجد القلب الوحيد الذي تتمني أن يشاركها مصيبتها!!

استمعت لصوت جرس الباب فاعتقدت أن فادي أخيراً أتي ولكنها استمعت من غرفتها لصوت غريب يتحدث مع خالها لم تستطع تمييزه فلم تهتم..

لحظات واستمعت لصوت والدتها العالي:

"لا لن تراها، ستحزن أكثر"

شعرت بغثيان حاولت مقاومته وهي تستمع لصوت خالها الذي ارتفع بشدة:

"بل ستراها، وأنا من سأجعلها تراها بنفسي، ألم تكتفي بكل ما حدث لابنتك؟ ألا تري نتيجة أفعالك؟"

"أفعالي أنا يا ياسين وماذا فعلت؟"

اشتدت رغبتها بالقيء فنهضت ببطء وجسدها تشعر به ضعيف غير قادر على حملها، تذكرت أنها لم تتناول الغداء، لقد رفضت أي طعام منذ عودتهم متعللة بالنوم حجة وخالها وافقها وتركها على راحتها، أنها ممتنة لخالها بأكثر مما تستطيع التعبير، انه الوحيد الذي تشعر به يفهمها حقاً

تصميم : فاتن طارق

ويتفهم ما تعانيه بل انه لم يفارقها في الفحوصات التي أجرتها على عكس شقيقها الذي يظهر ويختفي عندما يسمح وقته، توقفت للحظة مقاومة غثيانها بشدة وهي تستمع لصوت خالها الغاضب:

"لقد فرقتِ البنت عن زوجها وانظري إليها الآن هل هذه أروى ابنتك؟؟ لقد أصبحت شبح يتحرك بلا روح، ألم تلاحظي أنها تقبلت ما قاله الطبيب بلا اهتمام؟"

نشجت رحمة وهي تقول:

"حبيبة قلبي كانت مصدومة ومن منا لم يكن؟ ليتني كنت أنا.. ليتني كنت أنا"

"طالما لم تلاحظي سأخبرك رغم انه يؤلم قلبي ما سأقوله، أروى ليست مصدومة رحمة، لقد رأيت بعينيها الاستسلام" صمت للحظات ثم تابع بأسي

"انها ترحب بالموت.. ابنتك وصلت لتلك المرحلة"

"لاااا" صرخت رحمة بهلع فأردف ياسين مؤكداً:

"بلي مهما أنكرنا ولكنها الحقيقة أنها تحتاج لأمل.. تحتاج لبشير"

فتحت أروى باب غرفتها بحدة وهي تتنفس بصعوبة فلقد ألمها أن خالها قرأ ما بداخلها فقالت باضطراب وقد تناست غثيانها من فرط توترها:

"أنا لست بحاجة لبشير خالي.. لقد تطلقنا وانتهي الأمر"

تفاجأ رحمة وياسين بأروى إلا أن ياسين قال بثبات:

"أنتِ وبشير مازلتم تحبون بعض"

ركضت رحمة على ابنتها وهي تري وجهها يتصبب منه العرق فقالت بجزع:

"هل أنتِ بخير حبيبتي؟"

تصميم : فاتن طارق

لم تتلفت أروى لوالدتها بل قالت بابتسامة ساخرة تعيد تكرار جملتها والتي تعيدها على عقلها مراراً لتقتنع:

"لا يهم.. لقد تطلقنا وانتهي الأمر"

"بشير مازال يحبك"قال ياسين بتعاطف ثم أردف مشيرا بيده لعلبة قابعة على طاولة غرفة المعيشة"انظري"

تحاملت على نفسها وتوجهت للطاولة بساقين مرتعشتين ثم جلست على الأريكة خلفها ويدها تمتد لتلتقط العلبة الصغيرة ثم وضعتها جانبها بقلب يرجف من التوتر ثم فتحت العلبة الكبيرة فوجدتها كيك بالشيكولاتة مكتوب عليها بخط جميل.

"كل عام وأنتِ بخير أروى"

وبداخلها ثلاث شمعات، انهمرت الدموع من

عينيها وهي تبتسم ببلاهة، ثم امتدت يدها للعلبة الصغيرة ففتحتها، شهقت وهي تري سوار ذهبي على شكل قلوب صغيرة وكل قلبين متراصين جنبا إلى جنب مع قلبين أخرين وهناك بطاقة فوقه مكتوب عليها:

"اعتذر لم أستطع المقاومة.. أمل أنكِ بخير.. كل عام وأنتِ أروى..

بشير"

أخذت تبكي بصوت وهي تنظر للسوار وللكيك بعدم تصديق وبألم، لقد تذكر عيد مولدها في حين لم يفعل أحد أخر حتى هي نفسها نسته تماماً، ولكنه تذكرها، الأحمق اختزل كلمة حبيبتي التي يكتبها بكل بطاقة واستبدلها بأروى.. لو رأته ستقتله لمَ حرمها منها، لقد كانت بحاجة أن تستمع إليها أو تراها حتى في مجرد حروف، لقد

تصميم : فاتن طارق

كانت بحاجته، يا الله أنها بحاجته بشدة..

تعالت شهقاتها وهي تتأوه بألم ووالدتها تضمها إلى صدرها بقوة متمتمه ببكاء:

"توقفي حبيبتي.. لا تفعلي بنفسك هكذا.. توقفي لأجل أمك"

بينما ياسين قد أدار وجهه عن رؤية ابنة شقيقته وقد دمعت عينيه من شهقاتها المتألمة التي توجع القلب، أبعدت أروى نفسها عن صدر والدتها ثم ركضت سريعاً على الحمام لقد عاودها الغثيان بقوة، شعرت برأسها يدور بها بعد انتهائها من تلك النوبة وهي تغادر الحمام وقبل أن تطمئن والدتها وخالها الذين ينظرون إليها بترقب، أحست بثقل في أجفانها يدعوها لإغلاقهم وقبل أن تغمض عينيها استجابة لحالة لجسدها التي لا تسمح لها بمقاومة الإغماء تمتمت وعقلها الباطن يرسم صورته أمام

عينيها.

"بشير"

"أروى"صرخت رحمة بابنتها جزعة وهي تراها تتكوم على الأرض بينما ركض ياسين نحو أروى ليحملها لفراشها ورحمة خلفه تنوح على حال ابنتها وبعد أن وضعها بالفراش، حاول إفاقتها فنجح بعد فترة ففتحت عينيها بتعب متمتمه ببضعة كلمات تريح قلب والدتها الملهوف عليها ثم غمغمت وكأنها لم تخلد للنوم منذ فترة:

"سأنام لبعض الوقت"

خرجا ياسين ورحمة وتركاها بمفردها لنوم يعد راحة لها من التفكير بماضي أصبح بعيداً وحاضر أصبح تعيساً ومستقبل جراحه ستظل مفتوحة بلا أمل..

ارتمت رحمة على مقعد وأخذت تبكي بأنين فاقترب

تصميم : فاتن طارق

الفصل السابع

ياسين مواسياً قائلاً غير قادر على لجم لسانه:

"هل مازلتِ تري انه من الأفضل لها أن تبتعد عن بشير وتنساه؟"

"توقف ياسين.. توقف.. لم أعد احتمل لومك"صاحت رحمة من بين شهقاتها ثم عاودت البكاء

زفر ياسين وفي عقله فكرة حتى وان لم توافق رحمة ولكنه بحاجة لبعض الوقت ليري كيف ستسير الأمور ثم غمغم بقلب مهموم

"فليصلح الله الأمور"

نقر بإصبعه بتوتر على الطاولة التي يجلس عليها منتظرا خال أروى فلقد طلب منه أن يلتقي به في أحد المقاهي ليتحدث معه بشأن أمر هام لم يوضحه في الهاتف فوافق بشير فوراً، لقد كان ينتظر أي معلومة عن أروى، فهاتفها مغلق دائماً، لقد شك أنها غيرت الرقم حتى لا يهاتفها أو يطمئن عليها بل أن عقله صور له أنها نسيته وقررت الامتثال لرغبة والدتها بالزواج مرة أخري لذلك تقطع خيوطها بالماضي المتمثلة به..

فرك جبينه بإرهاق فمنذ توقفت أروى عن الإجابة على اتصالاته وهو لم يعد ينام جيداً، فالأرق وصورها رفيقاه في وحدته بالليل..

عاد بتفكيره لخال أروى، يا تري بماذا يريده؟ ولمَ الآن؟ فلقد طلق أروى منذ فترة، فلمَ تذكره الآن؟ هل حدث لأروى شيء؟ أم لعلهم يريدون بعض

الأشياء من الشقة وقد أُحرجت أروى أن تطلبها؟
ولكن منذ متي تشعر أروى بالإحراج منه؟
"منذ طلقتها"أتاه الرد من عقله كطلقة نارية
ضربت قلبه في الصميم
أنقذه من الغرق ببؤسه قدوم ياسين خال أروى
قائلاً بترحيب:
"مرحبا بشير.. هل تأخرت عليك؟"
وقف بشير مرحبا به باحترام وهو يقول:
"لا لم تتأخر.. أنا من أتيت مبكراً"ثم أضاف
بابتسامة"ماذا تريد أن تشرب خا.. ؟"توقف قبل
أن يكمل الكلمة ووجهه قد بهت فالصفة التي كان
ينادي بها ياسين لم تعد موجوده لينادية كما اعتاد
أن يفعل فقال ياسين معاتباً:
"مازلت خالك بشير أم تراك غيرت رأيك بي؟"
نفي بشير سريعاً:

"العفو خالي.. لم أقصد ولكن"ثم انعقد لسانه
مجدداً عاجزا عن إيجاد تبرير فقال ياسين يعفيه
من الحرج:
"اطلب لنا فنجانين قهوة حتى نتحدث على راحتنا"
دار بينهم حديث تافه حتى أتي النادل بالقهوة
فتطلع ياسين ببشير متفحصا لوجهه، مفكرا بينه
وبين نفسه هل من حقه التدخل رغم رفض أروى
وعدم رضا والدتها ولكن باستدعاء صغير لصورة
ابنة شقيقته والتي أصبحت ملامحها باهتة صفراء
جراء مرضها وهزالها بسبب فقدانها الشهية ثم
ألقي نظرة أخري على بشير الذي يجلس مقابلاً له،
انه هو الأخر يبدو مدمراً فهناك هالات سوداء
تحت عينيه وقد أطلق لحيته وكذلك هيئته تشي
بالبؤس الذي يعاني منه مما جعل ياسين يحسم
أمره قائلاً:

"أعلم أنك مندهش لاتصالي بك وطلبي مقابلتك"

حاول بشير الإنكار وهويقول:

"يشرفني مقابلتك خالي بأي وقت"

تنحنح ياسين بحرج ثم قال متعجلاً نفسه حتى لا يتراجع عما قرره:

"أعلم انه لا يحق لي التدخل بعد ما فعلته شقيقتي معك ولكنني غير قادر على الصمت أكثر من هذا"

تسارعت أنفاس بشير فنبرة ياسين توحي بحدوث مصيبة فقال متوتراً:

"ماذا هناك خالي؟"

"أروى بشير.. أروى"قال ياسين بحزن

تصلب جسد بشير وتسارعت دقات قلبه حتى شعر انه على وشك الإصابة بأزمة قلبية بينما حاول إجبار لسانه على التمتمة بالتساؤل رغم الخوف من الإجابة:

"ماذا بها أروى؟"

زفر ياسين بأسي ثم اندفع في الحديث قائلاً بحزن:

"منذ طلاقكم، بدأت أكلتها تضعف وتصاب بالغثيان والإغماء وتحت إصرار والدتها وافقت مجبرة على الذهاب للطبيب والذي جعلها تخضع للعديد من الفحوصات"

"و؟"قال بشير يحث ياسين على المتابعة فنظر ياسين له وقال بألم:

"لقد اكتشف الطبيب أنها تعاني من فشل كلوي مزمن في مرحلة متقدمة"

"ماذا؟ مستحيل"همس بشير مصدوماً وقد تجمعت الدموع بعينيه

أومئ ياسين برأسه أسفاً وهو يتابع حديثه"للأسف هذه الحقيقة مهما حاولنا أن ننكرها"

حدق بشير بالفراغ الذي يحيطه بذهول غير

تصميم : فاتن طارق

مصدق أن حبيبته تعاني من مرض خطير كهذا وهو بعيد عنها، لقد شعر بوجود خطب ما ولكنه لم يتخيل أن يكون الأمر بهذا السوء وهو من تركها لتجد سعادتها بالحياة ليكتشف في النهاية أنها على وشك ترك الحياة بأكملها.. يا الله لا لابد أن يوجد حل، رفع رأسه نحو ياسين متسائلا بلهفة:

"أليس هناك علاج؟"

"ستخضع للغسيل الكلوي بالوقت الحالي حتى نستطيع إيجاد متبرع لها، لقد خضعت والدتها لفحوصات لتري أن كانت تستطيع التبرع لها ولكن تلك العملية ستحتاج لوقت كما أنني اعتقد انه سيكون صعب عليها التبرع لسنها حتى وان حدث التطابق ولكن كل هذا الآن ليس مهم"قال ياسين بهدوء

رمقه بشير بسخط وهو يهتف به لائماً:

"وما هو المهم إذاً؟"

قابل ياسين ثورة بشير بسكون ثم قال بجدية:

"المهم هو أروى.. لقد خضعت بالفعل للعلاج ولكنها تستقبله بسأم.. بدون رغبة حقيقية للحياة وكأنها"صمت للحظة ثم أردف بحزن"ترحب بالموت"

هز بشير رأسه عدة مرات رافضاً ثم قال بشفتين مزمومتين قهراً:

"لا لن تموت.. أروى لن تتركني"

"أن أروى ستغضب أن علمت أنني أخبرتك ولكنني رأيت أن من واجبي أن أخبرك وأترك لك حرية التصرف"قال ياسين مهموما ثم أردف بأسي"أعلم أن ليس من حقي أن أطلب منك أن تلزم نفسك بإنسانة مريضة بمرض يحتاج لعناية خاصة ولكنني لم أستطع الصمت وانا أري أروى

تصميم : فاتن طارق

تختفي أمامي ليس بسبب المرض ولكن لأنها فاقدة الرغبة بالحياة"

"لم أكن لأسامحكم إذا لم تخبروني"قال بشير بحرقة ثم أردف بصوت متحشرج محاولاً السيطرة على دموعه ومنعها من الهبوط على وجنتيه:

"خالي أن روحي فداء لأروى وأنت تتحدث عن عناء العناية بها! لقد تركتها لتجد سعادتها لا لأسلمها للموت.. لا لن أسمح لها أن تتركني"

"هذا عشمي بك بني ولكن أعود وأقول لك فكر جيداً قبل أن تتخذ أي خطوة ولا تندفع"قال ياسين بتأني

"لا احتاج للتفكير خالي فقراري لن يتغير، ستبقي دائماً وأبداً أروى إختياري"قال بشير بحسم وعينيه تلمعان بتصميم ثم طرأت فكرة أخري في عقله جراء كلمة قالها ياسين ولكن عليه التأكد أولاً

والبحث أكثر قبل أن يعرضها حتى يكون متأكداً من نتيجتها، فقال لياسين على عجل:

"سأرحل الآن وأهاتفك خالي لأطمئن على أروى"

ثم رحل دون أن يترك الفرصة لياسين فعليه البحث سريعاً عن تلك الفكرة التي تولدت بعقله

وسيكون أمامه فيما بعد أوقات كثيرة ليبكي بها على حبيبته وما أوصلها إليه بيده!

تصميم : فاتن طارق

بتبض قلبك أحيا

رفرفت بأهدابها تفتح عينيها المرهقتين ومازال آثار النعاس بهما، اعتدلت بفراشها ثم نهضت متوجهة للحمام فهي بحاجة لانعاش نفسها قليلاً للتخلص من حالة الغثيان التي تلازمها، حركت رقبتها يميناً ويساراً حتى تتخلص من التشنجات بها، فاليوم كان مرهقاً لها فلقد أمضت عدة ساعات بجلسة الغسيل ترافقها والدتها وقد ودعتها ببكاء تاركة إياها لمصيرها لتدخل غرفة الغسيل الكلوي لتوصل بالقسطرة الوريدية بينما اعتذر شقيقها فادي عن اصطحابها لانشغاله، لقد أرهقت أعصابها من بكاء والدتها والجلوس طيلة تلك الساعات لذلك هربت لغرفتها بعدما عادت فوراً من الجلسة فالنوم هو راحتها الوحيدة والتي تجتمع فيه بحبيبها..

توجهت لخارج غرفتها فسمعت بطريقها همهمات أتية من غرفة شقيقها وقبل أن تدير مقبض الباب

لترى من بالداخل استمعت لصوت جيهان الغاضب:

"فادي لا تمثل عليّ.. والدتك تلمح بحديثها لان تتبرع لأروى بإحدى كليتك"

اتسعت عيني أروى بصدمة فهي لا تريد من أحد أن يتبرع لها بشيء، أنها راضية بقضاء الله ومتقبله ابتلاؤه في صبر، ابتلعت ريقها بصعوبة ورغماً عن قناعتها وجدت نفسها تسترق السمع فاستمعت لصوت شقيقها الحانق:

"اخفضي صوتك جيهان وماذا إذا تبرعت لشقيقتي؟ أيرضيكِ أن أراها تقضي بقية حياتها معذبة بين المستشفيات؟؟"

زفرت جيهان بضيق:

"أنا لا أتمني لشقيقتك الشر ولكني لن أسمح لك بأن تضحي بنفسك لأجلها، تذكر أطفالك قبل أن

تقدم على أي عمل أحمق"

"جيهان.. تأدبي"قال فادي بسخط ثم أكمل بجدية"مساعدتي لشقيقتي ليست عمل أحمق"

"لا عمل أحمق خاصة عندما يكون خلفك أطفال ترعاهم.. ماذا إذا حدث لك شيء؟ من سيربيهم؟"صاحت جيهان ساخطة

أسندت أروى رأسها على الباب بألم لا تتحمل الاستماع لحوارهم الذي يجرحها وفي ذات الوقت لا تستطيع الابتعاد، عادت تستمع لصوت شقيقها يرد على زوجته:

"قلت اخفضي صوتك جيهان.. قد تسمعك أمي"

"لتسمع لأنني لن أقبل أن تجري تلك الفحوصات فادي، أسمعتني؟ لن أقبل"هدرت جيهان غير عابئة بأحد

"أروى ابنتي هل أنتِ بخير؟"اقتربت رحمة من

تصميم : فاتن طارق

من أروى بخوف وهي تراها تسند رأسها على باب غرفة فادي فنظرت إليها أروى وأومأت برأسها ثم أشارت لوالدتها أن تصمت فهي لا تريد لشقيقها ولزوجته أن يكتشفوا أنها وقفت تسترق السمع لحديثهم، فكيف ستواجههم حينها وكبرياؤها مجروح؟؟ وقبل أن تسألها والدتها لمَ تقف هكذا؟ استمعوا لصوت فادي يقول ساخراً:

"وماذا ستفعلين جيهان إذا قررت إجراء تلك الفحوصات؟"

"سأترك لك المنزل فادي"قالت جيهان بحسم فشهقت رحمة وقد استوعبت فحوي حوار ابنها وزوجته ثم ما لبثت أن أكملت جيهان قائلة"أنا لن أسمح لك أن تضيع حياتك فداء لشقيقتك.. أنا سأنقذك من نفسك إذا لزم الأمر.. وأنت اختار بين شقيقتك وبين بيتك وأنا"

"الحقيرة"قالت رحمة بغيظ وهي تنوي أن تدلف لغرفة ابنها وتسمع زوجته ما تستحق إلا أنها يدها توقفت وهي تشعر بنظرات أروى الموجهة لها فالتفتت إليها فرأت ابتسامة ساخرة على شفتي ابنتها وهي توجه إليها نظرات ذات مغزي ثم قالت بهمس:

"ألا تذكرك كلماتها بشيء أمي؟"

قطبت رحمة جبينها بعدم فهم ثم ما لبثت أن اتضح مقصد أروى في رأسها فانهمرت الدموع من عينيها وأروى لا تكف عن الابتسام ساخرة ثم قالت وكأنها اكتفت من الاستماع:

"سأذهب للحمام"

شيعتها رحمة بنظراتها ودموعها مازالت تنهمر من عينيها، فالقدر أذاقها من الكأس الذي أذاقته لابنتها فها هي تستمع لنفس الكلمات التي قالتها

تصميم : فاتن طارق

بعنجهية وعناد متحكمة بمصير أروى، لقد عذبتها وهي تخيرها بينها وبين بشير ولكن أروى اختارت بشير فهل سيفعل فادي؟ استمعت إلى رد فادي المتخاذل وهو يقول:

"لا داعي لهذا الحديث الآن فوالدتي لم تخبرني بشيء.. صحيح أنها لمحت ولكنها لم تقل شيء صراحة"

"وإذا قالت؟"تساءلت جيهان بعناد

"لن أوافق ارتحتِ؟"

ابتعدت عن باب غرفة ابنها وساقيها لم تعودا قادرتين على حملها، انهمرت دموعها أكثر ورد فادي يُعاد في عقلها، لقد حطم أملها في حياة طبيعية لابنتها ذات الحظ العاثر، لقد أرادت لأروى حياة طبيعية ولكن يبدو أن المسكينة سيكون قدرها أن تحيا متألمة للباقي من حياتها.. ياليتها كان

باستطاعتها تقديم حياتها لها، لم تكن لتتأخر ولكن نتائج الفحوصات أتت غير متطابقة، كما أن الطبيب أخبرها انه حتى لو تطابقت كان سيكون هناك خطورة على حياتها، آه لو بالإمكان لماتت سعيدة وهي تمنح أروى حياتها، فهي لا تتحمل رؤية ابنتها تمر بذلك العذاب لبقية حياتها، أن قلبها تفتت اليوم وهي تراها تخضع لجلسة غسيل الكلي، ازداد انهمار دموعها وقلبها يبتهل لربها:

"يا الله ليس لدينا سواك فاشفها وعافيها.. يا الله لا تقهر قلبي عليها.. يا أرحم الراحمين يا الله"

"لمَ تبكي الآن أمي؟"قال فادي قادماً من غرفته ثم أردف بخوف"عينيكِ ستتعبك هكذا"

رفعت رحمة عينيها نحو ابنها ثم ألقت نظرة على زوجة ابنها بامتعاض وهي تقول بتحسر:

"إذا لم أبكي على حال شقيقتك، على من سأبكي

تصميم : فاتن طارق

إذاً؟"

"ستكون بخير، الكثيرون يحيون على تلك الجلسات لا تقلقي"قال فادي مطمئناً والدته

التوت شفتي رحمة بتهكم وهي ترغب بالقول له:

"هل هذا ما أخبرتك به زوجتك يا سيد الرجال؟"ولكنها آثرت السلامة وصمتت رافضة الرد عليه وعلي زوجته السمجة وهي تقول:

"معك حق يا فادي هناك المئات الذين يحيون على جلسات غسيل الكلي ويمضوا في حياتهم بصورة طبيعية"

أتت أروى على أخر جملة ومازال على شفتيها ابتسامة ساخرة ولكن عينيها كانت تحكي قصة أخري، قصة حزينة مؤلمة توجع القلب إلا أنها قالت بمفاجأة وكأنها تراهم لأول مرة:

"متي أتيتم؟ لم أراكم"

"لقد كنت أرضع هيثم"تولت جيهان الرد في حين احتقن وجه فادي وهو يشعر بنظرات شقيقته الساخرة، فقالت أروى ومازالت محتفظة برباطة جأشها:

"اعذروني سأذهب لغرفتي لأرتاح قليلاً"ثم أضافت راغبة بإيلامهم

"فالجلسة اليوم كانت مرهقة وعليّ رغم ما تسمعينه جيهان فالحياة بالجلسات مرهقة وليست أمر بسيط كما تتصوري"

بهت وجه الجميع بعد كلمات أروى ولكنهم لم يعلقوا فهي لم تنتظر تعليق فبعدما نطقت كلماتها المؤلمة، توجهت سريعاً لغرفتها تاركة العنان لدموعها وقد ذبلت أخيراً ابتسامتها الساخرة، لامت نفسها على ما قالته، فهي تكره أن تبدو مثيرة للشفقة في عيونهم ولكنها أرادت تعذيبهم..

تصميم : فاتن طارق

نعم، لن تنكر لقد أرادت تعذيب والدتها لأنها حرمتها من حب حياتها في أخر أيامها وأرادت تعذيب شقيقها المتخاذل، فمنذ بدء حديثه مع زوجته شعرت بذلك التخاذل، فردوده لم تكن حاسمه بل كانت قابلة للتفاوض وقد استغلت جيهان الأمر جيداً وعلمت أين تضغط ومتي حتى استسلم فادي لإرادتها..

الأمر ليس أنها كانت ستوافق أن عرض عليها شقيقها أن يمنحها كليته ولكنها كانت تريد أن تشعر به سندا ودعماً لها، ولكنه خيب ظنها كما يفعل دائماً وكما أصبح كل أحد يفعل بحياتها فالوحيد الذي كان دوماً سندًا لها قد خذلها هو الآخر حينما تركها، يا الله كم كانت تحتاجه بهذه اللحظات، تحتاج أن تضمه فيخبرها أنها ستكون بخير.. تحتاج للبكاء بحضنه فيهدهدها بقبلاته.. يا

يا الله كم تحتاجه ولكنه أصبح بعيد المنال بالنسبة لها فبعد مرضها لن تفكر بالعودة إليه.. فلن تتحمل أن تصبح مجرد عبء عليه بعد أن كانت كل حياته، ستموت أن رأت نظراته المحبة قد تحولت لشفقة ورثاء..

أغلقت عينيها ودموعها أفلتت من عقال سيطرة أهدابها فتساقطت على وسادتها في حين خيالها ذهب بها لشريط ذكرياتها فتذكرت عندما كانت تنام بين أحضان بشير فاستدعت أنفاسه لترعاها ولتكن بجوارها لتستطيع الغرق بهدوء في غياهب النوم..

تصميم : فاتن طارق

بتبض قلبك أحيا

تقدم بخطي سريعة في الممر الذي أخبروه انه يوجد به وحدات الغسيل الكلوي، انه يريد أن يكون بجوارها بتلك اللحظات المؤلمة، لقد مر يومين لا ينام بهما قلقاً عليها، يبكي لوحده ليلاً خوفاً من أن يخسرها، لقد ترك خالها ذلك اليوم وذهب لأحد أصدقاؤه والذي أصبح طبيباً لامعاً ورغم انه لم يهاتفه منذ فترة طويلة إلا أن صديقه الطبيب ذاك وافق على مقابلته فوراً محترماً ذكري صباهم فقص له بشير أمر زوجته وماذا عليه أن يفعل في حالتها؟ فأخبره صديقه بمعلوماته العامة عن مرضها ثم منحه عدة أسماء لأطباء مشهورين بعلاج أمراض الكلي وقد اكتشف فيما بعد أن أروى تذهب لأحدهم بالفعل حينما هاتف خال أروى طالباً منه اسم الطبيب الذي تذهب إليه أروى ورغم دهشة خالها إلا انه أعطاه الاسم

فاتصل بشير بالطبيب وحجز موعدا لثاني يوم بصعوبة وقضي ليلتها ثاني أسوأ ليلة بحياته فالأولي كانت عندما طلق أروى ومن غرابة الأمر انه اكتشف أن وقع خبر مرض أروى عليه كان أقسي بكثير من وقع خبر مرضه عليه!

وبموعده مع الطبيب حاول أن يفهم كل شيء منه عن حالة أروى واضطر لمصارحته بأنه طليقها وعندما رفض الطبيب أخباره عن حالتها، أطلق مفاجأته فلم يكن من الطبيب سوى الرضوخ أمام صدقه وحبه..

"بشير"هتفت رحمة بذهول وهي تري بشير يقترب منها وهي تجلس بالخارج بانتظار انتهاء جلسة أروى، فقال عندما وصل لها:

"مرحباً أمي"

نظرت رحمة له بدهشة فابتسم بوجهها مطمئناً،

فلقد كان يقول"أمي"بصدق متناسياً كل العذاب الذي مر به بسببها ولم يتذكر سوى انهم يتشاركون نفس المصاب فأروى بالنسبة إليهما هما الاثنين أغلي ما يملكان بحياتهم وكل منهم يود لو بإمكانه فدائها بدمه، ترقرقت الدموع بعيني رحمة فاقترب بشير مطمئناً لها ولنفسه:

"ستكون بخير"

انهمرت دموع رحمة وهي تدعو:

"يارب.. يارب"ثم قالت باستغراب"من أخبرك؟"

رمقها بعتاب وهو يقول:

"كان لابد أن أعلم.. فحتي وان ابتعدنا ستظل أروى جزء مني"

شهقت رحمة ببكاء ثم عاودت الجلوس مرة أخري وهي تري بنفسها نتائج ما فعلته، لقد دمرت قلب ابنتها وقلب رجل مخلص كبشير والذي رغم أنها

تصميم : فاتن طارق

عايرته بعقمه وجرحت كبرياؤه أتي ليقف مع ابنتها في حين ابنها نفسه يكتفي بالسؤال بالهاتف وقد تهرب من القدوم معهم اليوم أيضا..

"يا الله ماذا فعلت؟" همست داخلها بعذاب ودموعها لا تتوقف عن الانهمار، فوجنت بيد حانية تربت على كتفها فرفعت نظرها لبشير الذي قال بحزن يغالب دمعاته اللاتي تشكلت بعينيه:

"ستكون بخير.. لن يحرمنا الله منها"

ربتت على كتفه هي الأخرى وهي تومئ برأسها بقلب يبتهل لله راجياً منه أن يعفو عنها ويحفظ ابنتها..

ساعتان مروا وهما على وضعهم بانتظار خروج أروى حتى ظهرت أخيراً والإرهاق يبدو على ملامحها المتعبة فتوقفت قدميها عن التحرك باتجاههم وهي تري بشير أمامها ثم قالت بغضب

موجهة حديثها له:

"من أخبرك؟ وما الذي أتي بك لهنا؟"

تجاهل السؤال الأول ثم أجابها وعينيه تتشربان ملامحها التي أوحشته، ورغم هزالها الواضح ووجهها الشاحب إلا أنها كانت في عينيه وستظل أجمل امرأة في العالم فقال بشوق:

"قلبي"

لمسة خفيفة من اللون الأحمر زحفت لوجنتيها فهي لم تدري أن كان يناديها أم يخبرها أن قلبه من أتي به لهنا، طردت أوهامها العاطفية فعليها أن تكون قوية لتقاوم تأثيره فهي ستكون معطاءه مثله وتفضله على نفسها فقالت بحدة:

"لا داعي لوجودك.. هيا بنا أمي"

تفاجأت رحمة من برود ابنتها فهي أكثر من يدري بقلب ابنتها الولهان بعشق بشير والذي مهما

تصميم : فاتن طارق

حاولت لا تستطيع وأد حبه، لقد اكتشفت أن أروى محقة، أن حبهما لا يموت، يكفي النظر لعيني بشير لتري عذابه بحرمانه ولهفته على حبيبته وعيني أروى اللتين تغافلانها وترمقان بشير بشوق رغماً عنها!

وضعت يدها على فمها وهي تفكر كيف كانت عمياء لهذه الدرجة وفرقت بينهم؟ أن عيني أروى عادتا للحياة فقط منذ رأت بشير حتى وان كانت تقاومه إلا أن ذلك الاستسلام والتبلد الذي كان يغشيهما اختفي، لقد كان ياسين محق أن أروى فقدت الرغبة بالحياة برحيل بشير عنها، فهي لم تثور وتنفعل حزناً على مرضها ولكنها انفعلت عندما بعث بشير بهديته! أنها لم تثور وهي تستمع لكلمات زوجة شقيقها الجارحة ولكنها انفعلت الآن وهي تري بشير!

عضت شفتيها بقهر وهي تتوصل لحقيقة ساطعة كانت غائبة عنها هي لوحدها وسط عنادها واكتشفها الجميع قبلها.

"ان بشير هو نبض قلب أروى وبدونه تصبح شبح باهت"

"هيا أمي"قالت أروى باضطراب وهي تشيح بعينيها بعيداً عن بشير لتتخلص من سحر تأثيره عليها

سار بشير بجوارها وهي ترمقه بنظراتها المغتاظة إلا أنها صمتت فلقد كانت تخشي أن تحدثت يخرج صوتها مهزوزاً يشي بانفعالها برؤيته ولكن عند باب المشفى ثبتت نفسها وقالت بحده:

"يكفي لهنا سيد بشير، لم تكن بحاجة لأن تتعب نفسك وتأتي"

تطلع إليها بعتاب صامت ثم قال بهدوء:

"سأوصلكم لنفسي للبيت"

مدتها انفعالاتها بطاقة تقاوم بها إرهاقها فرفعت أحد حاجبيها بتحدي قائلة:

"بأي صفة سيد بشير؟"

إن كانت تريد إيلامه فلقد تحقق مرادها، انه لا يطيق كلمة سيد هذه كما لا يطيق تباعدها ولكنه يعلم أنها غاضبه منه لقراره بالابتعاد ولكنه معذور، لقد ابتعد لأجلها، لمَا لا تتفهم هذا؟ وقبل أن يخبرها أنها حبيبته وقعت عينيه على السوار الذي أرسله لها فابتسم.

"هل قلت مزحة سيد بشير؟"صاحت أروى بعصبية ابتسم مجددا وعينيه لا تفارق يدها في إشارة أن تنظر لها ثم قال بحب:

"لا أحتاج لصفة أروى حتى أكون بجواركم فما بيننا أكبر من جميع الصفات"

غاظتها كلماته ثم نظرت لأسفل حيث عينيه مثبتتين فرأت سواره، تملكها الغيظ أكثر فحاولت إخفاؤه بيدها الأخرى إلا أن ابتسامة بشير اتسعت وقبل أن تنطق بكلمة تقدم للطريق ليوقف سيارة أجرة يستقلونها للذهاب لبيتها..

الصمت كان رفيقهم طيلة الطريق لا يقطعه سوى محاولة استراق بشير بضعة نظرات إليها من مرآة السيارة ثم توقفت السيارة أخيراً أمام باب البناية التي تسكن بها أروى فقالت رحمة تدعوه:

"تفضل معنا بشير"

اتسعت عينيه بدهشة وهو يستمع لعرض والدتها بأن يصعد معهم ولكنه رفض فهو لن يستطيع السيطرة على نفسه إذا صعد معهم دون أن يكون له الحق باحتضانها، انه يشعر انه إذا صعد برفقتهم، سيتناسى كل شيء حتى وجود والدتها

تصميم : فاتن طارق

وسيأخذ أروى بين ذراعيه.

"سأطمئن عليكم دائماً"قال بوعد وعينيه مسلطتان على أروى التي تلونت وجنتيها قليلاً ثم أخبر السائق أن ينطلق بعد أن اطمئن عليهم وقلبه وعقله لا يكفان عن التفكير بالتساؤل عن متي سينتهي انتظاره فهو لا يتحمل أن يري أروى معذبة هكذا بين المشافي!

نظر للسماء وقلبه يردد مبتهلا دعاء لا ينتهي:

"يا الله لتكن نتائج الفحوصات جيدة ومتطابقة"

تصميم : فاتن طارق

ابتسامة حالمة ارتسمت على شفتيها وهي تمسك هاتفها بيدها بانتظار أن يرن، لقد اعتادت بالفترة الأخيرة أن تتلقي اتصال من بشير ليلاً ليطمئن عليها، اتصال يذكرها بأيام خطبتها السعيدة ويعيد إليها الإحساس بمشاعر دافئة تنتشلها من التفكير بمصيرها أو بما تعانيه في مرضها، فيكفيها أن بشير عاد مجدداً لحياتها..

عادت بذاكرتها لذلك اليوم الذي بدأت به اتصالاتهم اليومية، يومها كان بشير موجوداً منذ بدء الجلسة ولا تدرك لما عندما رأته وهي خارجة من الجلسة بكت، تساقطت دموعها أمامه بلا قوة، رأته يضم يده في قبضة حتى لا يحتضنها ولكنها تمنت لو خالف عقله واحتضنها بالفعل، لقد تلقفها صدر والدتها حينها ولكنه لم يكفيها، لقد كانت تريد حضنه هو فقط..

ابتسمت وهي تتذكر كيف تحول اشتياقها له
وحزنها على حالها لغضب منه ومن تحكمه بنفسه
إلا أن غضبها تبدد وحلت محله دهشة ووالدتها
تخبرها أن بشير على الهاتف، بلحظتها لم تستطع أن
تجمع كلمتين على بعض في حين كان يتحدث
بهدوء وتأني وكأنه لم ينقطع يوماً عن محادثتها
وسرقهم الحديث حتى سألها عن سر دموعها
فصمتت غير قادرة على إخباره بكل تلك الأفكار
التي كانت ترتع بعقلها ففاجئها بفقدانه للسيطرة
على عواطفه قائلاً:
"لا تبكي مجدداً فدموعك نار تكوي قلبي ولا تخشي
شيء سأظل دائماً بجوارك"
تنهدت مغلقة عينيها بشوق لصوته، فبكلماته
البسيطة تلك جعلها تنسي ألمها ووجعها وكل شيء
سوى الإيمان أن حبهم مازال باقٍ رغم فراقهم،

تقلبت على فراشها وهاتفها لا يفارقها، فلقد
أدمنت مكالماته الهاتفية تلك بل أنها تتحين
الفرصة لينسي نفسه أحياناً وتفلت منه
كلمة"اشتقت إليكِ"
رن هاتفها فسرت رعشة لذيذة بجسدها جعلتها
تبتسم وهي تجيب:
"مرحباً"
"مرحباً، كيف حالك اليوم؟"سأل بشير بلهفة
"بخير، كيف حالك أنت؟"سألت أروى مبتسمة
"بخير طالما كنتِ بخير"قال بشير بصدق
تنهدت أروى بسعادة بل راودتها الرغبة بان تصيح
بأعلي صوت تملكه"أحبـــــــــك بشير"
ولكنها تمالكت نفسها وهي تقول بفضول:
"يبدو على صوتك السعادة، هل جد شيء؟"
"بلي ولكن لن أخبرك الآن"قال بشير بصوت

تصميم : فاتن طارق

متراخي

"بشير"زمجرت أروى ثم قالت بغضب مصطنع"تعلم أنني لن أرتاح حتى تخبرني"

"وأنا لن أخبرك فانسي"قال بشير بحزم ثم أضاف بنبرة كسولة"هل ترتدين سواري؟"

احتارت هل تخبره الحقيقة فتخجل نفسها أم تكذب عليه وهي لم تكذب يوما عليه فقالت محرجة:

"نعم"

"أتعلمين لمَا أخترته؟"سأل

قطبت جبينها بحيرة ثم قالت تخمن:

"لأنك أحببته"

"بل لأنني شعرت أن كل قلبين متلاصقين هما قلبينا فرأيت بهما كل دقة بقلبي تعانق دقة بقلبك"قال بشير بصوت ملئ بالشغف

لمعت الدموع بعيني أروى هامسة بخفوت:

"بشير"

وكأنها تختزل باسمه كل معاني الحب ولكنه لم يكن بحاجة لتخبره بمشاعرها فمشاعرهما هما الاثنين معروفة لبعضهما..

فقال بصوت مفعم بالمشاعر:

"سأغلق الآن.. أراكِ غداً بالجلسة"

"إلى اللقاء"تمتمت أروى وهي تحتضن هاتفها بحب ثم أودعته قبلة تتمني وصولها لحبيب قلبها..

تصميم : فاتن طارق

بتبض قلبك أحيا

أغلق سريعاً الهاتف مع أروى حتى لا تفضحه مشاعره أكثر من هذا وتفلت من فمه كلمة أحبك، كلمة لا تفي حقيقة مشاعره، فلقد تجاوز الحب منذ عرفها وأصبح هائماً وعاشقاً لها، زفر بعمق مذكراً قلبه انه فقد الحق بالتصريح بتلك الكلمة..

ثم نظر للملف الذي يجاوره بسعادة، فذلك الملف يحمل الأمل الذي يحيا عليه هذه الأيام فلقد ظهرت نتائج فحوصاته

والأشعة التي أجراها، وأخيراً حن القدر عليه وصالحه بتلك النتائج.. انه حتى هذه اللحظة لا يصدق، لكنه لن يطمئن إلا بعد انتهاء كل شيء..

دلفت والدته لغرفته فجأة وهي تقول حانقة:

"بشير ألن تجلس معنا قليلاً؟ لقد أخبرتك أن تبقي معنا حتى أراك أكثر"

زم شفتيه وهو يفكر أن بقاؤه بمنزل والديه خطأ

وسيدفع ثمنه حالاً، لقد رحل لمنزله كما كان قد قرر ولكنه اضطر للعودة بعدما مرضت والدته ليلاً بإحدى الليالي الماضية فأمرته حينها مستغلة مرضها أن يبقي معها بضعة أيام قبل أن يعود لشقته فلم يستطع رفض طلبها..

تقدمت سميرة نحوه بعينين جاحظتين وقد وقعت عينها على الملف الذي يحتوي على الأشعة فقالت بجزع وهي تنظر لبشير ولم تكن قد رأته عندما عاد من الخارج حاملاً الملف فلم تعد لبشير مواعيد محددة لعودته للمنزل:

"ما كل هذه الأشعة والتحاليل بني؟ هل أنت مريض؟"

"اهدئي أمي أنا بخير.. لا تقلقي"قال بشير يطمئنها فقطبت جبينها بتساؤل

"إذاً ما كل هذه الأشياء؟ ولمَا؟"

فكر أن يكذب عليها ويخبرها أنها خاصة بعقمه ولكنه يعلم أن حبل الكذب قصير وان والدته ستعلم عندما تحدد عمليته فمستحيل أن يذهب ويقوم بإجرائها دون أن يطلع أفراد أسرته، فقال سريعاً:

"أنها للاطمئنان على صحتي حتى يستطيع الطبيب أن يجري العملية وهو مطمئن"

"ماذا؟ أي عملية بني؟"قالت سميرة بهلع وهي تستند لتصل لفراش بشير ترمي بثقلها عليه فساقيها من الصدمة أصبحتا رخويتين أسفلها

اقترب بشير منها وهو يقول مطمئناً:

"لاتجزعي أمي.. أنها عملية بسيطة نسب نجاحها أصبحت مرتفعة ولا تشكل أي خطورة"

رفعت عينيها نحوه بذهول والدموع تنساب على وجنتيها متسائلة بقلب محروق:

"ممَ تعاني ياقلب أمك؟"

"لا أعاني من شيء ولكن أروى من تعاني أمي"قال بألم ثم أردف أمام نظرة والدته المضطربة"انها تعاني من فشل كلوي مزمن وأفضل علاج لها هو التبرع بكلية"

"وتريد أن تكون أنت المتبرع؟هل جننت؟"صرخت سميرة بعدم تصديق وقد استردت وعيها من صدمة أن يكن ولدها مريض وخبأ عليها

"أمي اسمعيني أنتِ تعلمي ماذا تمثل لي أروى وأنا لن أقف وأشاهدها تموت"قال بشير بعذاب

"بعد كل ما فعلته معك، تريد أن تضحي بحياتك وتنقذ حياتها!"هدرت سميرة بصوت عالي

اعترض بشير بضيق:

"أروى لم تفعل شيء بل أنها رفضت أن أطلقها، أنا من صممت على الطلاق، كما أن الأمر ليس به

تضحية، فتبرعي بكليتي لا يعني موتي بل على العكس سأعيش مرتاحاً وهي أيضاً"

"وماذا إذا تعطلت كليتك الأخري؟ ماذا ستفعل حينها؟هل أنت مجنون؟ لن أسمح لك بذلك الجنون"صاحت سميرة ثم هتفت"مصطفي.. مصطفي.. تعال وأتصرف مع ابنك الكبير الذي جن"

مط بشير شفتيه بسأم فقد توقع ثورة والدته:

"أمي أهدئ قليلاً"

دلف مصطفي ومعه حسام مضطربين على آثر صوت سميرة ثم تطلعا لكلا من بشير وسميرة بحيرة ثم تساءل مصطفي:

"ماذا هناك؟ لمَ تصرخين سميرة؟"

"هيا أخبر والدك ما أخبرتني به يا أعقل أبنائي.. هيا لا تستحي"قالت سميرة بصراخ فغمغم بشير

تصميم : فاتن طارق

باعتراض:

"أمي"

فتابعت حديثها وهي تنظر لزوجها:

"ولدك الكبير العاقل يريد أن يتبرع لطليقته بكليته، أرأيت خيبة أكثر من خيبة إبنك؟"

"أمي"زمجر بشير وقد بدأ يفقد هدوءه

"أصحيح ما قالته والدتك بشير؟"سأل مصطفي بعدم تصديق

زفر بشير قائلاً:

"بلي أبي صحيح، أروى تعاني من فشل كلوي مزمن وقد قررت أن أتبرع بكليتي لها لأنني لا أحتمل رؤيتها تعاني بهذا الشكل"

"لمَا بشير تفعل بنفسك هذا؟"تساءل حسام بعدم فهم ممزوج بقهر من شقيقه الذي يضحي بنفسه "لأنني أحبها، أعشقها أنها حقيقة الجميع يعلمها،

لا أستطيع أن أحيا سعيداً وأنا أعلم أنها تتعذب بجلسات الغسيل الكلوي.. لن أحتمل الحياة بتلك الطريقة، لقد تركتها فقط مضحياً براحتي بقربها لأجلها، ولأجلها أنا مستعد للتضحية بحياتي دون تردد وليس بكلية فقط"ثم أضاف بعزم منهيا الأمر وهو يوجه حديثه لوالديه

"لا شئ سيغير رأيي، لقد قررت وانتهي الأمر"

"لقد جننت.. جننت"قالت سميرة وهي تشهق بالبكاء، فاقترب بشير وجلس على ركبتيه أمامها قائلاً بألم:

"ألا تريدين سعادتي أمي؟ أن سعادتي اسمها أروى.. عندما تكون بخير سأكون بخير وإذا بقيت تتعذب هكذا فلن أرتاح أبداً بل سأموت كمدًا من عجزي عن مساعدتها، ثم ما قيمة حياتي إذا رأيتها تذبل أمامي يوماً بعد يوم؟؟ سأموت أمي قبلها..

تصميم : فاتن طارق

سأموت"

رفعت يدها توقفه عن ترديد تلك الكلمة التي تحرق أحشائها إلا أنها أوقفتها فهي لن توافقه أبداً على ما يريد فعله، مسح دمعة أفلتت من عينه ثم نهض واقفا مخاطباً الجميع:

"سأخبركم بموعد العملية ومن يريد الحضور لمؤازرتي سأكون سعيد بوجوده معي أما إذا رفضتم سأتفهم موقفكم"

ثم سحب الملف الذي يحتوي على فحوصاته وغادر منزله بقلب ينزف ألماً ولكنه لا يستطيع أن يغير قراره لأجلهم فحياة أروى على المحك وهو منذ رآها أول مرة وعد نفسه انه سيبذل كل ما بوسعه ليحافظ عليها ويحميها ولقد اعتاد دائماً الوفاء بوعوده..

فوجئت ببشير يهبط معهم من سيارة الأجرة فهذه أول مرة يفعلها منذ بدأ يذهب معهم لجلساتها، رعشة خفيفة سرت بجسدها وهو يصعد يجاورها على الدرج ووالدتها تسبقهم، لم تنطق بكلمة وكذلك فعل هو ولكنها شعرت بأنفاسه تشي بتأثره وتخبرها الكثير، وصل لأنفها رائحة عطره فأغمضت عينيها لتتمتع برائحته التي أوحشتها ولكنها فتحتها سريعاً وهو يسألها بلهفة:

"أروى أنتِ بخير؟"

"بخير"تمتمت بخفوت محاولة التخلص من تأثيره عليها

دلفا معا للشقة لاحقين بوالدة أروى التي قالت مرحبة ببشير:

"تفضل يا بشير تفضل.. دقائق سأعد العصير وأتي"

"لا داعي أمي"اعترض بشير وعينيه تلاحقان عيني

أروى اللتان تحاولان الهرب منه ولكنه بحاجة لان يغرق بهما قليلاً فربما استطاعت عينيه إقناعها بما ينوي فعله.

شعرت أروى بنظراته المسلطة عليها فرفعت عينيها نحوه راغبة بمعرفة سر نظراته وصعوده معهم، فهناك أمر هام جعله يغير روتينه معها اليوم، هل صعد ليطلب يدها مجدداً؟؟

رجفة مرت بصدر أروى إلا أنها تمالكت نفسها وهي تعبس بجبينها، فحتي وان فعل بشير فهي لن تقبل، لن تجعله يتحمل عبئها بدافع الشفقة!

"ولكن بشير يحبك" اعترض قلبها بحرقة، إلا أن عقلها رفض منطق قلبها فلقد أصبحت بقايا امرأة سرعان ما سيكتشف بشير حقيقتها ويمل ويتوقف عن حبها وهي لن تعيش لتري تلك اللحظة، رمقت بشير بألم جعله يقطب جبينه هو الأخر بحيرة عمَ

سبب تبدل ابتسامتها إلا انه لم يستطع التحدث لقدوم والدتها مبتسمة وهي تقول:

"تفضل العصير بني"

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي أروى وهي تفكر أن الحياة فيلم تتبدل أدوار أبطاله بصورة مستمرة فوالدتها منذ فترة قليلة كانت السبب بطلاقها والآن ترحب بطليقها لأنه وقف بجوارهم في محنتهم وأثبت انه رجل أكثر من شقيقها ذاته..

رنين جرس الباب جعلها تفيق من أفكارها وقبل أن تنهض لتري من بالباب سبقتها والدتها مرحبة بحرارة بشقيقها ياسين، وقفت أروى هي الأخرى ترحب بخالها وهي تشعر من سلامه والنظرات التي تبادلها مع بشير أن قدومه الآن ليس مصادفة!

تبادل بشير وياسين الحديث بشكل عام وسط

نظرات ناطقة بوجود أسرار بينهم، مما أزعج أروى فعقلها فسر تلك النظرات برغبة بشير بردها لعصمته فمازالت هناك بضعة أيام قبل أن تنتهي عدتها، ولكنها سترفض.. عليها أن ترفض حتى وان قتلها الرفض..

همس بشير بكلمة في أذن ياسين جعلت الأخر يتململ ثم أمسك هاتفه طالباً رقماً ما ولكن دون إجابة مما جعله يزفر بضيق قائلاً:

"فادي هكذا دائم التأخر.. أري انه لا داعي لانتظاره فهو لن يضيف جديد"

وقع قلب أروى بين قدميها وهي تستمع لما قاله خالها فلقد أكد هاجسها دون أن يدرك، عضت شفتها وهي تؤكد لنفسها أنها سترفض مهما كان الإغراء قوي بان تقبل ولكنها سترفض، انتبهت على صوت خالها يقول بصوت مطمئن:

"لقد أتيت اليوم لأنني لدي خبر مفرح لكِ أروى"

انقبض قلب أروى وهي تتمتم بترقب:

"خير خالي"

"لقد وجدنا لكِ متبرع"قال ياسين بفرح منقوص لم تنتبه إليه أروى فهي الأخرى كانت تتنازعها مشاعرها بين الإحباط والفرحة فرغم أنها كانت سترفض عودة بشير لها إلا أن قلبها تمناها وانتظرها، تكفلت برسم ابتسامة على شفتيها وهي تسأل محاولة إضافة الحماس لنبرتها:

"ومن أين أتي هذا المتبرع؟ ولمَا سيهبني كليته؟"

فُتح باب الشقة فدلف فادي معتذراً:

"أسف على تأخري.. هل أخبرتها خالي؟"

"نعم أخبرني"أجابت أروى ببساطة فتنهد فادي بارتياح وهو يجلس على الأريكة التي تجلس عليها أروى ناظرا لأروى والتي ملامحها الهادئة تشير أنها

تقبلت الأمر فقال بحبور:

"الحمد لله.. لقد خشوا أن ترفضي ولكنني أخبرتهم انكِ ستكونين مجنونة لو فعلتِ.. ثم أن بشير رجل شهم منذ عرفناه وما سيفعله ليس بجديد عليه"

انعقد حاجبي أروى وهي تهب واقفة وعينيها تدور بين الجميع متسائلة:

"ما علاقة بشير بالأمر؟"

"بشير هو المتبرع"قال فادي كأنه أمر بديهي ثم وجه حديثه لخاله"ألم تخبرها؟"

زفر ياسين بسخط قائلاً:

"ليس بعد ولكنك فعلت"

"ماذا؟ هل جننتوا؟؟ مستحيييييييييل لن أقبل"صرخت أروى بهيستيرية ثم أردفت برفض تام"مستحيل أن أقبل بان يضحي بشير بحياته لأجلي.. كيف تعتقدوا أنتم إنني سأقبل؟؟ انسوا

هذه الفكرة.. امحوها من عقولكم تماماً"

"أروى اهدئي"قال ياسين محاولا احتواء ثورة أروى إلا أن أروى لم تكن تسمع شيء فعقلها كان عاجز عن تقبل أن عائلتها قد قبلت هذا الإقتراح فوالدتها سابقاً رفضت وجودها مع بشير لانه عقيم والآن تريده أن يضحي بحياته من أجل ابنتها أما شقيقها نفسه رفض أن يمنحها كليته خوفاً على حياته، فكيف تقبل بتضحية بشير بنفسه؟

مستحيل أن تقبل!! فصرخت مجدداً بغضب:

"لا شيء ستقوله خالي قد يجعلني أغير رأيي.. ما ذنب بشير حتى يتحمل مثل هذا العبء؟؟ وكيف توافقوا أنتم وتستغلوا كرم أخلاقه بهذه الطريقة البشعة؟؟"

"لقد أرسل الله إلينا بشير رأفة بحالنا.. أنتِ لا تعلمي عذابي كلما ذهبنا لجلسة غسيل

تصميم : فاتن طارق

الكلي"قالت رحمة ببكاء

لوت أروى شفتيها متهكمة وهي تقول:

"الآن بشير أصبح رحمة من الله، أليس هو نفس الإنسان الذي لاحقتيه حتى يطلقني؟؟ الآن فقط علمتِ قيمته أمي؟ تريدين أن تستغليه ليريحك من العذاب ولكن أسفة أنا أرفض، فلن أسمح لكِ باستغلال حبه لي هذه المرة لتحققي ما تتمنيه"ثم وجهت حديثها لبشير قائلة بحده:

"ممتنة حقيقي لكرم أخلاقك ولكن شكرا أنا راضية بقضاء الله ولا أريد شفقتك"

ثم ركضت لغرفتها مغلقة الباب خلفها لترتمي على فراشها وتبكي، تبكي كل القهر بقلبها، قهر من حكم القدر على قلبيهما هي وبشير فحب مثل حبهم كان يستحق الحياة ولكن ولأنها تحبه مضطرة أن تقتله فهي ترفض أن تستغله، وتعرضه لخطر

الموت..

يتبض قلبك أحيا

نظر لوجه والدة أروى البائس فقال بتقرير:

"رفضت أن تراني؟"

"لا أعلم ماذا أفعل مع هذه البنت ومن أين تأتي بكل هذا العناد"قالت رحمة محبطة ودموعها تشق طريق لها على وجنتيها

زفر بشير بضيق مقرراً انه لن يصمت ويتركها أكثر من هذا، لقد أعطاها الوقت الكافي لتهدئ ولتسمعه ولكنها تأبى أن تراه حتي، فلجلستين متتاليتين رفضت أن يرافقهما وأعلنت أنها لن تذهب إذا رافقهم ولإنه يعلم أنها مجنونة وتفعلها وافقها لكن لهنا وكفي.. لمتي ستحرمه منها معلنة الحرب عليه؟؟

نهض متجها لغرفتها دون أن يستأذن والدتها ثم طرق بقوة باب الغرفة المغلق وهو يردد بصوت نافذ الصبر:

تصميم : فاتن فاروق

"افتحي الباب أروى.. اليوم لن أغادر دون أن أتحدث معكِ"

أتاه صوتها خافت من خلف الباب:

"لا أريد"

"سأكسر الباب إذا لم تفتحي"قال بغضب وهو يعاود الطرق

"لن تفعلها"قالت بثقة أغضبته فأجابها وقد فقد هدوء أعصابه

"سأفعلها لأنك لم تتركِ لي خيار أخر"ثم أسند رأسه على الباب وهو يقول بتعب"افتحي أرجوكِ.. أحتاج أن أحادثك"

شعر بحركتها المتوترة من خلف الباب ثم لحظات حسمت أمرها وفتحت الباب بضجر مصطنع قائلة:

"ليكن بعلمك.. لا شيء ستقوله سيغير رأيي"

تطلع لوجهها باشتياق ثم قطب وهو يري الهالات السوداء المحيطة بعينيها والتي تدل على أنها لم تنام جيداً بالأيام الأخيرة مثله ولكنها مازالت جميلة، أجمل امرأة رآها بحياته والتي سرقت قلبه منذ ذاك الحين ولم تعيده فهمس بشوق ومشاعره تغلبت عليه وأنسته وجود والدتها على مقربة منهم:

"اشتقت إليكِ"

عضت شفتها وتخضبت وجنتها خجلاً ولم ينقذها من البوح بمشاعرها هي الأخرى سوى صوت والدتها وهي تخبرهم أنها ستعد القهوة لبشير، رفعت عينيها نحوه على استحياء فلقد اشتاقت إليه كثيراً، تنهدت بتعب وهي تتطلع لملامح وجهه الوسيمة والتي لم تغيرها اللحية الخفيفة التي أطلقها، أنها تجعلها راغبة بتمرير أصابعها بين شعيراتها، لماَ أتي؟ تساءلت بألم فقربه مؤلم، أن يكن

بجوارها ولا تستطيع أن تلمسه كما تشاء لأجل صالحه، حتى لا تربطه بإنسانة مريضة مثلها، فضميرها يخبرها أن عليها أن تبتعد والله يعلم أنها تعذبت كثيراً وهي تحاول الثبات على موقفها فهي لن تسمح له بأن يضحي بحياته لأجلها، الموت أهون لها!

تغضنت ملامحها متألمة فقالت بعذاب:

"لمَ أتيت بشير؟"

"هل نجلس فالحديث سيطول؟"قال بشير وهو يرمقها بحنان فعينيها أخبرته عن صراعها الذي يدور في رحايا عقلها.

جلست أروى على أحد المقعدين بغرفة المعيشة فجلس بشير بالمقعد المقابل لها وقال بهدوء وعينيه تآسران عينيها:

"لمَ ترفضين إجراء العملية أروى؟"

"لا أرفض إجراء العملية ولكن أرفض أن تكون أنت المتبرع بشير"ردت أروى بعصبية

تألم بشير مما قالت لكنه تمالك نفسه قائلاً بروية:

"لمَا أروى؟"

"وتسألني بشير؟"قالت أروى بحده ثم أردفت بعذاب"تريدني أن أوافق على تعريضك للخطر لتنقذ حياتي! كيف توقعت أن أوافق؟ مستحيل لن أسمح لشفقتك أن تجعلك تضحي بهذا الشكل لأجلي"

"شفقة أروى؟"ردد بشير بصدمة مضيفاً"أتصدقين نفسك وأنتِ تقوليها؟ أتعتقدين إنني أقدم على منحك كليتي لأني مشفق عليكِ؟"لم ينتظرها لتجيبه وهو يردف"أنا أعشقك أروى.. كنت ومازلت ودائماً سأظل أحبك"

مسحت دموعها المتساقطة بعنف تجيبه بصوت

تصميم : فاتن طارق

متحشرج:

"وأنا لن أستغل حبك ولن أسمح لك بتعريض حياتك للخطر.. ماذا إذا حدث لك شيء؟ ماذا أفعل بنفسي حينئذ وبماذا ستفيدني الحياة؟"

جذب يديها الباردتين بين يديه يمسدهما محاولاً أن يمحي نظرات الهلع بعينيها قائلاً بتأكيد:

"لن يحدث لي شيء، العملية ليست خطيرة حبيبتي ونسبة نجاحها عالية"

هزت أروى رأسها عدة مرات وهي تتمتم برفض:

"لن أتحمل أن يحدث لك شيء"

"وأنا لن أتحمل رؤيتك تعاني وبيدي أن أساعدك"قال بشير بتصميم

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي أروى وهي تقول:

"وعندما طلقتني، ألم تفكر بعذابي؟"

شدد من قبضته على يديها وهو يتمتم بغضب مكتوم:

"الأمر مختلف، لقد فعلتها لأجلك"

"بل هو ذاته"عارضت أروى وهي تضيف بتحدي"لقد طلقتني لأجل خاطري وأنا أرفض إجراء العملية لأجل خاطرك.. الأمر سيان كل منا يتصرف بما يراه جيد للأخر"

زفر بشير بعنف فالحمقاء حبيبته تقارن بين وضعين مختلفين تماماً فقال بسخط:

"سأرغمك على الموافقة وستجرين العملية أروى حتى لو اضطررت لتخديرك وخطفك"

رفعت أحد حاجبيها باستنكار ثم قالت بخبث:

"احب أن أذكرك أنك لم تعد زوجي حتى تستطيع إرغامي على شيء"

أوجعها وهو يشد مجدداً على يدها حانقاً من

تصميم : فاتن طارق

استفزازها ثم قال بثقة وهو ينظر لعينيها:
"أخبرتك من قبل لا أحتاج لصفة حتى أكون بقربك"
زمت أروى شفتيها متسائلة:
"حقا؟"ثم أضافت بمكر وهي تغمز بعينها"وماذا إذا تزوجت هل ستظل لا تحتاج لصفة حتى تكون بقربي؟"
"أروى"زمجر بسخط وشرارات غاضبة تنطلق من عينيه يود لو أمسكها من رأسها واقتلع عنقها حتى لا تجرؤ على تحديه هكذا وإيلامه بهذه القسوة، انه يدرك أنها تقصدت إغضابه حتى تشعره بخطئه عندما طلقها لكن ألا يكفي عذابه الخاص لتزيده بكلماتها؟؟ لقد ندم كلما فتح عينيه من نومه ولم يجدها بجواره، لقد تعذب ليلاً وهو يشعر بالوحشة المظلمة تسيطر علي قلبه وهي ليست معه تخفف بابتسامتها همومه، لقد تألم وهو لا يجد قلبها الحاني يواسيه عندما يخبرها بهمومه اليومية، لقد ندم وتألم وتعذب كثيراً ولكنه ابتعد لأجلها، لمَ لا تفهم؟؟
فرك وجهه بقهر وهو يقول متألماً:
"أعلم أنكِ تتقصدين تعذيبي لإنكِ مازلتِ غاضبة من ابتعادي"
هبت أروى واقفة وهي تصيح بانزعاج:
"بالطبع سأظل غاضبة منك، لقد طلقتني بعدما اخترتك"
بادلها الصياح قائلاً:
"لأني أحبك لم أريدك أن تحيي محرومة من والدتك ومن نعمة الأطفال، لقد ضحيت بسعادتي لأجلك.. لمَ لا تفهمي أنني لأجلك مستعد أن أفعل كل شيء لتبقي سعيدة؟ كان يكفيني فقط أن أراكِ

سعيدة بحياتك"ثم تهدج صوته وهو يقول بتوسل"اختاري أي طريقة لمعاقبتي ولكن أجري العملية أرجوكِ أروى، فلن أتحمل أن أخسرك"صمت والدموع تلتمع بعينيه ثم أضاف بصوت متأثر"لأجلي وافقي لن يحدث لي شيء ولكن لو حدث لك أنتِ شيء سأتدمر"

تساقطت الدموع من عينيها وهي تري عشقه لها بالدموع المحتسبة بعينيه فقالت بابتسامة:

"أعدني إليك وسأبحث عن طريقة أخري لمعاقبتك"

"أروى"قال بتلعثم فأظلمت ملامحها خاصة عندما نطق باضطراب"لا أريد أن تظن والدتك إنني اشترط عليكِ عودتك لي لأمنحك كليتي، لا أريدها أن تعتقد إنني أساومك"

"ستتخلى عني مجدداً؟"تسائلت أروى بألم ورؤيتها مشوشة بفعل دموعها التي لا تتوقف عن الانهمار

ثم قالت بانفعال"حسناً لا أريد أن أعود إليك ولا أريد أن أجري عمليات ولتتركني أتعفن بالجحيم حتى.. لا تهتم"

ثم همت بالمغادرة فامسك ذراعها يمنعها بينما صوت والدتها ينطلق:

"انتظري أروى"

تقدمت رحمة حاملة صينية القهوة والتي بردت وهي تقف على باب مطبخها تستمع للحديث الدائر بين أروى وبشير داعية الله أن يجعل أروى تقبل إجراء العملية وكم كان شعورها بشع بنفسها ورد بشير يكشف لها حقارتها حين تصرفت ببشاعة ولم تهتم بشعوره وهي تعايره بعجزه بينما هو يخشى أن تفهم تصرفاته خطأ وتعتقده مبتزا! انه أفضلهم بل أفضل من ولدها والذي استمع لحديث زوجته ورفض إجراء الفحوصات!

تصميم : فاتن طارق

وضعت الصينية من يديها المرتجفتين وهي تقول بنبرة متحشرجة بطياتها شعور بالذنب:

"سامحوني.. أنا من تسببت بكل ذلك الألم لكم.. لقد كنت خائفة على أروى فعجزت عن رؤية حبكم الواضح وضوح الشمس، لقد اعتقدت أن الأولاد هم السند الحقيقي بالحياة ولكنكم جعلتوني اكتشف انهم قد يخذلوك وقت الجد وان السند قد يكون بزوج لن تجد مثله لو بحثت عمراً بأكمله.. كنتِ محقة أروى السعادة في راحة القلب ورضا البال"ثم أضافت برجاء"سامحني بني"

ثم أجهشت رحمة بالبكاء على ما اقترفته يدها في حق ابنتها وحق رجل كان بمثابة ابن حقيقي لها، اقترب بشير منها مربتاً على كتفها قائلاً:

"لا تبكي أمي.. أنا لست غاضب منكِ"

اشتد بكاء رحمة وهي تشعر أنها صغيرة أمام بشير

وروحه المتسامحة ثم سمعته يقول بصوت مبتسم:

"الآن حلت المشكلة سأهاتف الطبيب ليحدد لنا موعد لإجراء العملية"

مسحت أروى دموعها وهي تشعر بالغيظ والسعادة مجتمعين معا في قلبها، سعادة من أجل انتهاء الأزمة بين أقرب شخصين لقلبها وبالغيظ من بشير لأنه رفضها مجدداً لأجل أفكاره المثالية، كانت تريده أن يطالب بها، ويحقه بامتلاكها، فهو يعلم أن روحها معلقة به وحده فقالت بتحدي رافعة احد حاجبيها:

"ليس بعد.. سيد بشير"

رفعا كلا من بشير ورحمة وجهيهما لها بتساؤل وترقب فأكملت بترفع:

"أنا لم أعاقبك بعد كما أريد"

تصميم : فاتن طارق

ابتسم بشير بتفهم لقصدها في حين هتفت رحمة ثائرة:

"تعاقبيه على ماذا أروى؟ أهذا جزاؤه على كل ما صنعه لأجلك؟"

حملقت أروى بذهول في والدتها ولسان حالها يقول سبحان الله مغير الأحوال في حين قال بشير بحب:

"اتركيها أمي.. أنا كلي ملكك أروى.. اصنعي بي ماشئتِ"ثم أضاف بغمزة من عينيه"سأهاتف خالي ياسين وفادي حتى تبدئي بمعاقبتي كما تريدين"

احمرت وجنتي أروى خجلاً بينما نقلت رحمة بصرها بينهم ثم ابتسمت باطمئنان فطالما وجوه الاثنين منبسطة فكل شيء سيكون بخير..

مر الوقت سريعا فبعد اتصال بشير بخال أروى وفادي مخبرا إياهم انه سيعقد قرانه مجدداً على

أروى لانتهاء العدة، نهضت أروى لتجهز نفسها ولحقتها والدتها تساعدها وتعد الضيافة التي ستقدمها لمن سيحضر ثم هاتف بشير والده وشقيقه والذين لم يخبروه أن كانوا سيحضرون أم لا فمازالوا غير مستوعبين ما سيقدم عليه ورافضين له..

بعدما حضر ياسين وفادي ومعهم المأذون انتظر بشير قليلاً متأملا بقدوم شقيقه أو والده ولم يلبث أن حضر حسام ولم يخذله معتذراً بالنيابة عن والده ووالدته لعدم حضورهم، حاول بشير تناسي تكدره من عدم حضور والديه حاصراً انتباهه بأن أروى أخيراً ستعود لأحضانه.. إليه..

نادي أروى خالها ياسين لتحضر عقد القرآن فقدمت من الداخل سارقة أنفاس بشير وهو يراها مرتدية فستان باللون الأخضر الغامق بدون أكمام

فوقه سترة قصيرة ذهبية متداخل بها اللون البيج وواضعة فوق أجفانها ظلال أبرزت جمال عينيها اللوزيتين بينما شفتيها صبغتهم باللون الأحمر وقد جمعت شعرها في تصفيفة مبهرة بعدة دبابيس على شكل قلوب صغيرة، انعقد لسانه وهو يراها بهذا الجمال، جمال لا يمله أبداً بل يجعله دائم الظمأ إليها وإلي قربها وليكن الله بعونه فلقد مضي وقت طويل لم يرتوي منها ومن حبها، لكزه شقيقه بكتفه ليخفض عينيه النهمتين لحسنها فتنحنح محرجا وهو يري الابتسامات الخبيثة المرتسمة على شفاه الحاضرين..

بمجرد انتهاء عقد القرآن، انطلقت الزغاريد من فم رحمة وأروى تبتسم بخجل وقلبها يقفز بصدرها من الفرحة، لا تصدق أن الكابوس انتهي أخيراً وعادت مجدداً زوجة لبشير حبيب عمرها..

شعرت بعيني بشير تلاحقانها وهو يتلقى التهاني من خالها وشقيقها وشقيقه فتعمقت الحمرة بوجنتيها، ولم تنتبه لوالدتها التي تقبلها لتهنئها، فلم تفيق من غيمة السعادة التي لفتها سوى وهي تستمع إلى صوت بشير يقول بسعادة مدعومة بثقة:

"اسمحوا لي.. سوف أخذ زوجتي ونرحل"

"انتظر حتى نتناول العشاء معا"قالت رحمة معترضة

إلا أن بشير لم يمهلها فرصة وهو يجذب يد أروى ويتجه لباب الشقة وهو يقول بتسرع يتنافى مع شخصيته الوقورة:

"مرة أخري أمي"

ثم انصرف مخلفا خلفه سلسلة من التعليقات الساخرة على لهفته للانفراد بأروى.

انتظرت أروى صعودهم بسيارة الأجرة حتى همست معترضة بدلال في أذنه لبشير تتقصد إثارته:

"ماذا سيقولون عنا الآن؟"

نظر لها من طرف عينه ثم شد على يدها وهو يقول من بين أسنانه:

"انتظري حتى نصل لمنزلنا وقولي مثلما تريدين أما الآن فقط اصمتي أروى رجاء"

عضت شفتها كاتمة إبتسامتها فهي تشعر بكل ما يعتمل بعقل وجسد بشير وتعلم انه مستثار بوجودها معه لأقصي حد غير مصدق انهما عادا معا من جديد ولكنها تحب مشاكسته ورؤية وجهه المحتقن حنقاً منها إلا أنها فضلت الاستماع لنصيحته فاكتفت بأن تخللت بأصابعها أصابعه، فابتسم لها بالمقابل..

لم يصدق بشير والسيارة أخيراً أمام منزلهم فنقد السائق سريعاً أجرته وجذب يد أروى خلفه يصعد درجتين درجتين وأروى تحاول اللحاق به مزمجرة كل درجتين:

"بشير توقف انقطعت أنفاسي"

وعندما سئمت من سرعته سحبت يدها وهي تقول حانقة:

"اصعد أنت واتركني، وأنا سأصعد الدرج على مهلي"

فاضطر بالنهاية لان يبطئ خطواته معنفاً نفسه وقد نسي مرضها ولكنه الشوق، المرض الذي لا دواء له هو السبب، فمنذ عقد قرانه عليها وشوق جارف أصاب قلبه فلم يعد يستطيع التفكير بوضوح، كل ما يتمناه أن يحتضنها بين ذراعيه وان يتأكد من أن الذي يمر به في هذه اللحظات ليس

تصميم : فاتن طارق

وهم، شعر بتوقفها فانتبه من أفكاره متسائلاً:

"لم توقفتِ؟"

تململت وهي تقول:

"أريد أن أري ميرفت، اشتقت إليها"

جحظت عينيه بغضب فهو ينتظر بفارغ الصبر لحظة أن يغلق باب الشقة خلفهم وحبيبته الحمقاء تريد أن تري جارتها أولاً، سحبها مجدداً من يدها رغم اعتراضها قائلاً بحسم:

"غداً"

أثرت أروى السلامة على مضض وأكملت صعود الدرجات المتبقية على شقتها، ثم دلفت سريعا للشقة تتنفس هوائها بشوق تاركة لبشير مهمة إغلاق الباب خلفهم ثم قالت بحنين:

"اشتقت للشقة ولكل شيء بها"

حاوطها بشير بذراعيه من الخلف وهو يضمها لصدره ويدس أنفه بعنقها متمتما وهو يقبله بتوق:

"وصاحب الشقة، ألم تشتاقي إليه؟"

استدارت بين ذراعيه لتنظر لوجهه ثم مسدت بيدها لحيته كما كانت تتمني قائلة بحب:

"صاحب الشقة هو كل حياتي وبدونه أضيع"

"يا الله"جذبها لصدره يحتضنها بقوة معتصراً إياها بين ذراعيه، وهي تضم نفسها إليه أقرب وأقرب غير أبه لضلوعها التي على وشك التهشم من شدة احتضانه لها، فهي تعلم أن حاجتهم لهذا العناق قوية، ليس فقط لشوقهم الشديد لبعض ولكن ليأكدوا لأنفسهم حقيقة انهم عادوا معا وان من اليوم ستُمحي كلمة الفراق من قاموسهم.

"لا أصدق أنكِ بين ذراعي، أعانقك وأقبلك، لقد حلمت بهذه اللحظة كل ثانية من نهاري وليلي

منذ فراقنا، آه لو تعلمي كيف كنت أعاني وأنتِ أمامي غير قادر على لمسك، قلبي كان يموت من الألم وأنتِ بعيدة المنال عني"قال بشير وهو مازال يعانقها بقوة

ابتعدت عن كتفه قليلاً لتستطيع أن تنظر لعينيه ثم قالت بعذاب مماثل لعذابه:

"وأنا بشير كنت أتعذب بابتعادك عني، لقد كنت أتمنى الموت حتى ارتاح"

وضع أصبعه على فمها يمنعها من تكملة حديثها فهو لا يطيق أن يسمع تلك الكلمة من فمها فلا توجد حياة بالنسبة إليه بدون أروى فأمرها بهمس وشفتيه تقترب من وجنتها يقبلهما بشغف:

"لا تذكري الموت بعد الآن"ثم أضاف واعداً"من اليوم سنحيا معا وللأبد بسعادة"

تطلعت إليه بعينين متلألئتين ببريق السعادة وهي

تجيبه:

"دائماً وأبداً معا"

لامس شفتيها ببطء وهو يتمتم بينهما:

"دائماً معا"

ثم عمق قبلته رويداً رويداً تاركاً العنان لمشاعره المكبوتة طيلة فترة ابتعادها فتحولت قبلته لأخري عميقة وهو يبثها شوقه وتوقه لان يكون معها، بيده أزاح سترتها جانباً ثم حملها دون أن يفترق عنها بعدما شعر أن قبلته قد طالت ولم تعد كافية له، فهو بحاجة لمساحة أكبر ليعبر عن مشاعره ليأخذها لعالمهم الخاص الذي افتقد دفئه بابتعادها، فاتجه بها لغرفتهم دون أن يفترق عنها متمتماً في أذنها كلمات طال حبسها في قلبه ولم يكن له الحق بنطقها طيلة الشهور الماضية ولكنه تحرر من قيده وأصبح بإمكانه التعبير عن عشقه

تصميم : فاتن طارق

لها بالكلمات والأفعال..

بعد أن هدأت أنفاسهم أخيراً جذبها تتوسد صدره مقبلاً جبينها برقة وقلبه يدعو بداخله ألا يفترقوا أبداً وأن تنجح العملية وتتعافي حبيبة قلبه بينما كانت أروى تمرغ وجهها بصدره وقلبها يخشي أن يمر عليها يوم لا تستمع لدقات قلب حبيبها فأغمضت عينيها وهي تبتهل بصمت مشددة من احتضانها لبشير:

"يا الله لا تحرمني منه.. وإذا كانت العملية بها خطورة عليه، لا تدعني أجريها فلن أتحمل خسارته مرة أخري"

أستسلمت أعينهم للنوم وقد اطمئن كلا منهما لوجود نصفه الأخر معه تاركين الخوف من المستقبل للغد وبقلوبهم يقين أن الله سيجبر بخاطرهم بعد أن منحهم فرصة ثانية..

تصميم : خاتون خاروف

ابتسم لها عبر الغرفة فردت الابتسامة بشفتين مرتجفتين، نقل بصره بين أفراد عائلتيهما والذين حضروا اليوم لمساندتهم بهذا اليوم العصيب فلقد فوجئ بقدوم حسام يرافقه والديه رغم عدم موافقتهم على إجرائه العملية إلا انهم لم يستطيعوا البقاء بعيداً عنه وعدم توديعه قبل الدخول لغرفة العمليات، وحتي شقيقته أتت منهارة تبكي وتخبره ألا يجريها، فطمئنها بثقة أن الأمر بسيط، لقد سعد برؤيتهم جميعاً فرغم إيمانه انه لا يوجد خطر على حياته إلا أن وجودهم بجواره منحه طاقة إيجابية فعلي أسوأ الأحوال أن حدث له شيء سيكون قد ودعهم وارتاح قلبه، نقل بصره بين أفراد عائلة أروى فشقيقتها أسماء قدمت خصيصاً لأجلها وفادي يبدو على وجهه التأثر بينما والدة أروى تمسد شعرها وتقرأ عليها المعوذتين أما خالها ياسين

فيقف بجوار والده ويبدو كأنه يواسيه ويطمئنه، ارتدت عينيه لأروى ناظرا للدموع المتراقصة بعينيها والتي تحاول السقوط فتحبسها أروى بإرادة قوية حتى لا تثقل عليه، اقترب من فراشها ليجيب نداء عينيها الخائفتين فاستمع لصوت أسماء تقول بمواساة لأروى:

"لا تقلقي أروى ستنتهي العملية على خير"

"ولمَ القلق؟ أن العملية بسيطة ثم أنا لو من أروى أطير من السعادة"قالت جيهان بمزاح فنظر إليها الجميع بصدمة واستهجان فتابعت مبررة بغبطة"اليوم ستمتلك تأكيد رسمي ودائم على حب بشير لها، من منا لا يتمني أن يحصل على حب قوي كحبهما؟"

"يا الله.. هل المرض أيضا يحسد عليه؟ دعي أروى وشأنها جيهان"هتفت رحمة ساخطة وهي ترمق

زوجة ابنها بحنق ثم قالت بغل"تمني من الله مرضها إذا كان يعجبك لهذا الحد"

"إذا ضمنت أن أجد فادي يبادر بالتبرع لي مثل بشير، كنت تمنيت خالتي"قالت جيهان هازئة

همت رحمة بالرد إلا أن قبضة أروى أخبرتها أن تترك جيهان وهذيانها بينما استمعت لفادي يجيبها ساخراً:

"ليس الجميع مجنون مثل بشير"

وقبل أن ترد جيهان، دلفت الممرضة قائلة بعملية:

"سيد بشير تفضل معي لنعدك للعملية"

"بشير"هتفت أروى بهلع وقد انسابت دموعها على وجنتيها فاقترب بشير منها ثم قال موجها حديثه للممرضة"عشرة دقائق فقط وسأتي معكِ"

أومأت الممرضة بتفهم ثم انصرفت في حين قال بشير لجميع من بالغرفة:

"هل لكم أن تتركوني قليلاً مع أروى؟"

انصرف الجميع يشيعون أروى الهلعة بشفقة، انتظر حتى أُغلق الباب خلف الجميع ثم عاد لأروى وقال بحنان ممسكاً يدي أروى الباردتين بين يديه:

"لمَا الدموع يا قلبي؟"

هزت رأسها برفض وهي تقول:

"لا أريد هذه العملية.. لا أريد شيء سواك بشير"

"حبيبتي أنا معكِ.. اهدئي"ضمها لصدره يهدهدها وهي تنشج ببكاء ولسانها لا يتوقف عن الترديد

"فلنذهب لمنزلنا، لا أريد هذه العملية، ماذا إذا حدث لك شيء؟ كيف سأعيش؟ لا فلنرحل من هنا.. هيا"

ضمها لصدره بقوة وهو يقول برقة فوق رأسها:

"لن يحدث لي شيء حبيبتي.. لا تقلقي.. إن

العملية ليست خطيرة"ثم أضاف وهو يقبل خصلاتها"سنخرج من هذه العملية كلانا بخير.. لا تقلقي"

"وماذا إذا لم نفعل؟"همست بخوف ابعدها قليلاً عن صدره ثم نظر في عينيها بقوة قائلاً بإيمان:

"إذا حدث لي شيء أروى، سأكون راضي بأن أكون منحتك قبل أن أرحل حياتي التي تملكينها من الأساس.. أروى عليكِ أن تعرفي أن حياتي بدونك ليست حياة"

ثم أضاف مازحاً وهو يمسح بوداعة دموع عينيها المتساقطة بغزارة:

"وعامة لا تقلقي سنكون بخير، فمازلت صغير على الموت فعمري ثلاث سنوات كما قدرته أميرتي وزوجتي"

"بشير"هتفت بجزع فابتسم لها وهو يكمل بإصرار:

"لا تبتئسي سنحتفل بعيد مولدنا معا الخمسين.. كوني على يقين من ذلك"ثم أضاف متفائلاً"احسني الظن بالله انه قادر على تجميعنا مجدداً"

"يااارب"دعت من صميم قلبها ثم قالت بعشق ويدها تتلمس بشرة وجهه بحب:

"أحبك بشير.. أحبك فوق الوصف.. قبلك لم أكن أعلم ماذا يعني أن تكون الروح معلقة بشخص ما؟؟ أما الآن فأنا أشعرها بكل ذرة بي، فروحي معلقة بروحك حبيبي"

"وروحي عاشقة لروحك حبيبتي ولأجل نبضات قلبك فقط أحيا"همس بشير قبل أن يقبلها على شفتيها قبلة أودعها عشقه له، فبادلته أروى القبلة بشغف وحب تودعه خوفها عليه..

تصميم : فاتن طارق

طرقات على الباب أبعدت أجسادهم عن بعضها إلا أن أعينهم كانت توثق عهدها بتجدد اللقاء مجدداً وكلها ثقة ببارئها انه سيتم نعمته عليهم ويعيدهم مجدداً لأحضان بعضهم..

تصميم : خانوخاروف

أمسكت جهاز التحكم بالتلفاز بغضب لا تثبت على قناة فلا شيء قادر على جذب اهتمامها حتى توقفت على فيلم رومانسي يعرض من حظها السيء لقطة رومانسية البطل يقبل البطلة بها، جزت على أسنانها بسخط مغلقة التلفاز ببؤس، لقد تغير بشير ولم يعد يحبها مثل الأول إذا كان نسي ذكري اليوم فهذا يعني أن مشاعره قد قلت حدتها وهي ستموت إذا توقف عن حبها..

"مستحيل أن ينسي بشير حبي"دافع قلبها باستماته عن بشير بينما أصر عقلها وهو يحاورها"كيف ينسي ذكري اليوم إذا كان مازال عاشق لك كما قبل؟"

"ولكنه منحني كليته، هل يوجد حب أكثر من هذا؟"عنفها قلبها

فعادت بذاكرتها لعامين مضوا حينما منحها بشير

كليته لتعيش، ولم يهتم بالمخاطرة بحياته فقط لأجلها، ابتسمت وهي تتذكر بصورة غير واضحة عندما أفاقت من تأثير العملية كانت أول كلمة تنطق بها هي بشير راغبة في الاطمئنان عليه فطمئنوها على صحته وعلمت فيما بعد أن أول كلمة نطق بها هو الأخر اسمها حتى يطمئن عليها، لقد أثار وجودهم في المشفى زوبعة من التعليقات على حبهم الذي زكي الغبطة في نفوس الجميع..

ابتسامة ناعمة ارتسمت على شفتيها وهي تتذكر كيف أصر بشير على البقاء برفقتها بغرفتها مثيراً غضب طبيبها إلا أن أمام إصرار بشير لم يستطع الطبيب الرفض فحتي بعد التصريح بخروجه من المشفى لازمها قائلاً بإصرار:

"لن اترك زوجتي هنا واخرج.. سنرحل معا كما أتينا معا"

ورغم خوفها عليه ومرارة تلك الأيام إلا أن ذكرياتها حلوة في قلبها فهي دليل حي على حب بشير لها، حتى قبلاته حينها كانت تترك آثراً مرحاً في نفسها فلقد كان يتصرف كمراهق لا كرجل وقور فيستغل الفرصة عندما تكون الغرفة خالية من سواهما ويلتقط شفاهها في قبلة ناعمة سرعان ما يقبض عليهم بدخول إحدى الممرضات أو والدتها، فيحتقن وجهيهما خجلاً كمراهقين ضبطوا في وضع غير لائق..

تساقطت دموعها وهي تفكر كيف ينسي ذكري اليوم بعد كل هذا الذي تشاركاه؟؟ كيف ينسي ذكري أول يوم تقابلا به؟ انه "اليوم المقدس" كما اعتادا أن يطلقا عليه..

لقد اعتقدت انه بعدما يعود من عمله سيتذكر عندما يري تاريخ اليوم ولكنه نسي بل انه غادرها

ليذهب لمنزل أسرته ليري مصطفي قليلاً، فقد اشتاق اليه، فذهب ليروي شوقه وليتركها هي تتلظي بنيران تلتهم صدرها وعقلها

"حسنا بشير فلتهنئ بابن شقيقك ولتري من ستنام بجواره هذه الليلة، هذا أن تركتك تنام بالبيت" قالت بحنق وهي تمسح دموعها ثم تساءلت مخاطبة نفسها "هل تتركه بالخارج أم تهاتفه الآن مدعية التعب حتى تعكر صفو جلسته ثم إذا أتي تغلق عليها باب غرفتها؟"

هزت رأسها برفض للفكرة فتلك فكرة طفولية، حسنا أفضل شيء ألا تحدثه ولو حتي بكلمة فليجن من الحيرة فهي لن تريحه بكلمة، ازداد انهمار دموعها وهي تفكر أنها لم تخطط لقضاء ذكري لقائهم بهذا الشكل، لقد أحضرت قميص جديد قصير لونه وردي من الستان خصيصاً لتلك

تصميم : فاتن طارق

لتلك المناسبة كما فكرت بأغنية لهم وأعدت كيك الشيكولاتة اللذيذ الذي تجيد تحضيره ومضت بخيالها تتخيل قبلاتهم المسروقة وهم يتناولونه، لقد أعدت كل شيء وبشير أفسد كل شيء.. لذلك لن تسامحه الأحمق..

سمعت صوت باب الشقة يُفتح وقبل أن تغادر كما نوت، هتف بشير بقلق وهو يري ظهرها منحني:

"أروى ماذا بكِ؟"

تساقطت دموعها أكثر وقد طار هروبها من عقلها فهي تريد أن تقتلع رأسه من على عنقه، تريد أن تسأله لمَ نسي؟ هل حقاً خفت حبهم واندثر بقلبه؟

"أروى حبي.. ما بكِ لمَ تبكين ياعمري؟"قال بشير متوتراً وقد فاجأته دموعها عندما انحني عليها فجذبها لحضنه يهدئها وهو يمسد على ذراعها العارية، اندست أكثر بحضنه مستمدة من لهفته

عليها ما يطمئن عقلها وقلبها الخائفين.

"حبي أخبريني.. هل أزعجك أحد؟"

"أنت"تمتمت بخفوت وقد نست أنها عقدت العزم على مقاطعته

أبعدها عن صدره بذهول مردداً خلفها:

"أنا؟"

أومأت برأسها وهي تمسح دموعها بظهر يدها ثم غمغمت أمام عينيه المتسائلتين:

"لم تعد تعشقني"

رمش بعينيه ليستوعب أنها تقصده فقال بدهشة:

"أنا لم أعد أعشقك.. من الأحمق الذي أخبرك بهذا؟"

"أنت"واجهته بقهر ثم أردفت"أفعالك أخبرتني"

جحظت عينيه بعد تصديق مغمغماً:

"أفعالي؟"ثم أردف بغيظ"أفعالي تخبرك يا حمقاء

إنني أذوب بكِ عشقا، فعيناي لا أفتحهم صباحاً
سوى لأري وجهك فيطمئن قلبي بوجودك، ونهاراً لا
يصبرني على الابتعاد سوى علمي إنني سأجدك
بمنزلنا عند عودتي أما مساءاً فلا أنام مطمئنا إلا
لإنني أعرف انكِ سترافقيني بأحلامي وبعد هذا
تخبريني أن حبي لكِ قد قل!"
احمرت وجنتي أروى وهي تشعر بصدق كلماته
فقالت وهي تعض شفتها بخجل:
"لمَ نسيت إذاً؟"
رفع أحد حاجبيه بعدم فهم:
"نسيت ماذا؟"
عاودها غيظها فنهضت من مكانها إلا انه امسك
ذراعها وهو يقول بانبهار:
"تبارك الخلاق فيما خلق"
نظرت بدهشة له ثم أسبلت أهدابها بسعادة وهي

تراه ينظر إليها بانبهار عندما شاهد قميص نومها
الجديد والذي ارتدته عقب رحيله نكاية به
وبنفسها، حاولت كتم ابتسامتها وهو يقول بعبث:
"كيف تزدادين جمالاً كل مرة أراكِ بها فيشعر
قلبي أنها المرة الأولي؟"
"بل كيف تفعلها أنت وتشعرني إنني أميرة كل مرة
تنظر لي بها وكأنها المرة الأولي رغم انك تحفظ كل
أنش بجسدي؟؟"همس قلبها بصمت فهي لن
تفضح مشاعرها وتسامحه بسهولة فما فعله جريمة
لا تغتفر في عرفها فقالت بغضب مفتعل لتداري
تأثرها من كلماته:
"ومن شدة حبك لي نسيت ذكري لقاءنا؟"
وقف مقابلاً لها وهو يضرب رأسه متمتماً:
"نسيت"
عضت شفتها بغيظ منه خاصة وهي تراه يبتسم

عقب تمتمته وقبل أن تنطق بكلمة، أمسك شفتيها بإصبعيه ثم قال وهو يشير لطاولة الطعام:

"انظري هناك يا مجنونة"

اتسعت عينيها بدهشة وهي تري باقة كبيرة من زهور الكاميليا التي تعشقها، استغل بشير صدمتها فأحاطها من الخلف مقبلا كتفها بحرارة قائلاً:

"لم أنس يا مجنونة.. أردت مفاجئتك"

رمقته بعتاب ثم اتجهت للباقة تحتضنها بحب وهو ينظر إليها بعشق ثم وضعت الباقة وعادت تحتضنه بشدة وهي ترفع نفسها لتطول عنقه فرفعها إليه وهي تتمتم:

"أعشقك بشير"

"ياقلب ونبض بشير أنتِ"غمغم بشعرها ثم انزلها وهو يقول مشيراً نحوها باصبعه بتحذير"مرة أخري لا تفكري أن حبي لكِ قد يقل بيوم"

"أسفة حبيبي"اعتذرت بخجل ثم قالت بلوم"أنت السبب"

"أردت أن أفاجئك ونسيت أنكِ مجنونة"قال بشير وهو يغيظها بمداعبة أنفها

"توقف بشير"تدللت أروى ثم أردفت بعشق وشفتيها تلامس شفتيه"لست مجنونة فقط أحبك"

كان هو من ابتعد عنها هذه المرة قائلاً بعينين تلمعان بالرغبة والحب:

"لا لن استسلم لإغرائك.. فلقد تعبت حتى حصلت عليها"

قطبت جبينها بعدم فهم ثم رأته يخرج هاتفه المحمول من جيبه ويضغط على عدة أزرار به قبل أن تنطلق أنغام منه فقال بشير وهو يعود إليها بعد أن وضع الهاتف جانباً:

"لقد استمعت إليها منذ فترة وحاولت معرفتها

تصميم : فاتن طارق

ولكن كما تعلمين فأنا فاشل بمتابعة الأغاني سوى تلك التي تسمعيني إياها، فسألت سامر عليها وبعد بحث استطاع التوصل إليها"ثم أردف وهو يجذبها من خصرها يراقصها

"عندما استمعت إليها شعرت بها تصف مشاعري وحبي لكِ"

ألصقت نفسها به وكلمات الأغنية يتردد صداها على لسانه

نخبي ليـــة في أسرارنا.. وأنا وأنت مفيش غيرنا

ولو ننسا مشاعرنا نكلم ملين يفكرنا

ياروح الروح بتنســـاتي وانا فاكر ومش نسأي..

تغيب عن عيني من تأني ومن غير حب اعيش ازاي

ومهما تغيب أعيش وياك واشوف وأنت فـ الشباك..

ودمعة حب في عنيا بتستناك يا احلي ملاك

قالو الحب لة علآمات.. في نبض القلب والهمسات

وروح بتطير تنادي عليك. ورعشة ايد في السلآمات

فـ عز سكوتنا نتكلمـ.. عيونا بتحكي وبتحلم..

وانا حسيت بأنفاسك.. تدفي أدياَ وتسلم

بقولك آَة ومن غير صوت.. تحبني موت وأحبك موت..

وأحساسنا يونسنا.. وأقوي مـ الحياة والموت

قبلت عنقه بشغف ضائعة برائحته وبمحبته لها فكلما دب الشك لعقلها، فند بحبه أوهامها، مهما أخبرته أنها تحبه فهي لن تستطيع التعبير عما بقلبها، لقد أخبروها أن حبهما وهم سينتهي بمرور الأيام ولكن قلبها كان على حق، فحبهما لم ولن ينتهي بل انه يزداد قوة وثقة كلما تقدم بهما العمر، فوجنت به يحملها بين ذراعيه وهو يقول

تصميم : فاتن طارق

بعبث:

"لا فائدة من مقاومة تأثيرك عليّ فقلبي سلم راياته من البداية"

انطلقت ضحكتها وهي تقول مازحة:

"أتمني مرة أن نكمل رقصة لنهايتها"

نظر لعينيها وهي بين ذراعيه:

"قولي للشمس أن تشرق من الغرب حينها ستتوقف روحي عن التأثر بكِ"

هزت رأسها برفض وهي ترفرف أهدابها بإغراء:

"لا أريدك أن تتوقف.. فبنض قلبك حبيبي أحيا"

أطبق على شفتيها يلتهمهما بنهم ممزوج بعشقه السرمدي لحبيبة قلبه، عشق لأحد له مضي يثبته لها وهو يداعب أوتار أنوثتها بأصابعه وفمه راويا قصة حب بدأت حروفها عندما وقعت عينيه على عينيها اللوزيتين فأخبرتاه انه وقع بآسر عشق لا

ينتهي مهما واجه من صعوبات فدائماً سيظل شامخاً طالما هناك نبض بالقلب..

تمت

تصميم : فاتن طارق